مجلة المجمع العلمي

الحِكمةُ في الشِّعرِ الجاهِليّ وأَثَرُهَا في إشاعَةِ السِّلْم

الدكتور علاء جاسم جابر
كلية التربية للبنات /جامعة بغداد

الملخص:

كَان سعي الإنسان ؛ دائبا لِنَيلِ الحِكمَة، كَطُمُوحِهِ لِبُلُوغِ الكَمال .. وقد قِيل الكثيرْ في أهميَّة الحكمةِ، وكُتِبَ فيها الكثيرُ،إذ هِيَ دَالَّةٌ سامِقَةٌ على صفاءِ جَوهرِ الإنسانِ ، ونُضجِ فِكرِهِ ، ورفعةِ مقامِه.

وفي الشِّعرِ الجاهِليّ – وَهُوَ أَقدَمُ نَصٍّ أَدَبِيٍّ مُوَثَّقٍ؛ يَحكي تاريخَ العربِ، وتُراثَهُمْ – تَبزُغُ شَذَراتُ حِكمةِ العربِ فيما نَظَمَهُ شُعَراؤهُمْ في شَتَّى المُناسباتِ والأَحوالِ ؛ تَتَراجَعُ قُوَّتُهَا ودِقَّتُهَا بِتَفاوُتِ الشاعريّة ، ومَدَياتِ عُمقِ النَّظر.

وأَكثرُ ما ظَهَرتْ الحكمةُ في الرِّثاءِ؛ لِتميُّزِهِ بصدقِ المشاعرِ ، وحرارةِ اللَّوعةِ، ونَقاءِ السَّرِيرَة.لكنَّها اتَّسعَتْ في اعتِذارِيَّاتِ الشُّعراءِ لِمُلُوكِهِمْ ، إو لِسِواهُمْ ؛

فكانتْ رافِدا مُثْرَعا لِمجرى السَّلامِ الاجتِماعيِّ الأَصيلِ ، كما أكَّدَتْهُ في سائرِ الأغراض .

الحِكمةُ ، جمعُها حِكَمٌ: الكلامُ الموافق للحقِّ؛ صوابُ الأمر وسداده، العَدل، الحِلم. والحكيم، جمعُه حُكَماء، ومؤنثُه حَكيمة: صاحبُ الحِكمة؛ العالِم. قصيدةٌ حَكِيمة: ذاتُ حِكمة، الحَكَم من الرجال: المُسنُّ. والمُحَكِّم: المنصِف من نفسه.[١]

يقول الفَيُّومي: سُمِّيَت الحكمة؛ لأنها تمنعُ صاحبَها من أخلاق الأرذال، وحكَّمتُ الرجلَ: فوَّضتُ الحُكمَ إليه، وأحكمتُ الشيء: أتقنتُه.[٢]والحكمةُ عزيزةٌ نادرة، لها أهميتُها وقيمتها بذاتها، فكيف إذا نطقَ بها الشعراءُ وأذاعها شِعرهم في الآفاق؛ تكون عن تجربة وإدراك وتمحيص،مُعبِّرةً عن أعماق ما يختلج في نفوس المجتمع،وما يشعر به ويحتاجه،لمسيرة حياةٍ نقية خالية من الشوائب والعيوب. يقول الزَّمخشريّ : حكَّموه: جعلوه حكَما. ورجلٌ مُحكَّم: مجرَّب،منسوبٌ إلى الحكمة.[٣]

هناك من الأُمم، مَن امتلكتْ عَراقةً؛ فأنتَجتْ حِكمةً، ومَن تَميَّزتْ بالحكمة؛ فأثمَرتْ كرَما وسُؤدَدا،ولكن من النادر،أنْ تَجمعَ أُمةٌ بين الجوهرَين الخالصَين؛ كأُمة العرب.إذ أزهرتْ مَجدا ورِفعة؛ حتى فَجَّرَ اللهُ تعالى، يَنابيعَ الحكمةِ على ألسُنِهم[٤].

وقد اشتهر العربُ بأعلام الحكماء؛ كلُقمان، الذي ذكره القرآن الكريم.[٥] وعُرفتْ -عند الجاهليين- صُحُفٌ في الحكمة؛ كمجلة لقمان.[٦] مرورا بِحُكماء

---

[١] ينظر: المنجد في اللغة والأدب والعلوم، لويس معلوف، ص١٤٦.

[٢] ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/١٥٧-١٥٨.

[٣] ينظر: أساس البلاغة، ص١٣٧.

[٤] ينظر: المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ص٧٨٦.

[٥] سورة لقمان، ٣١.

[٦] ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٦٨.

العرب، وحُكّامها، فضلا عمّا قد خَصَّها الباري جَلَّ شأنه؛ بالرُّسُل والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وهم مركز إلهام الحكمة ومُشعُّوها، ومُشَرِّعو أحكام الأنام، عن رَبِّ العِزَّة؛ مَصدَرِ الحكمة المُطلَقة، والكمال التَّامّ..

فهي الأساسُ المتين الذي يرتفع عليه عِماد الحياة القويمة، وبها تَتَراجحُ العقول السليمة من أجل خير الإنسان وسعادته وصفاء علاقاته وديمومة استقراره، ومِن ثَمَّ ثباتُ انسجام المجتمع ووئامه؛ ناعما برَغَدِ عيش، يَعمُّه الأمانُ والسلام. ولذا قال الإمام علي (ع): ((**الحِكمةُ ضالَّةُ المؤمن، فَخُذِ الحكمةَ ولو من أهلِ النِّفاق**)).[٧] من هنا جاء المَثَلُ الشَّعبيّ **[خُذِ الحكمةَ ولو من فَمِ مجنون]**. أو حتى من عدوٍّ، المهم أن يستفيدَ المجتمع لِما يُصلحه ويُرَقيه.

والشعراءُ يكتنزون تراثَ الأمة، ويختزنون ثقافتها وقِيَمها ومبادءها، ولذلك قالوا: إنَّ الشعرَ سجلُّ علم العرب وديوانهم العتيد. وبذلك يكون الشعراء هم خُلاصةُ عقل المجتمع، وضميرُهم النابض، ولسانهم الناطق المعبر عن أعرافهم وتقاليدهم، وأحاسنِ آراء جمعهم الواعي؛ المستتر في لُبِّ قلوبهم النزّاعة أبدا وطبيعةً إلى الخير والرشاد.

وقد تعدَّدتْ صُوَرُ الحكمة وموضوعاتها؛ بتعدد قائليها وظروفهم، ومناسباتها، والزوايا التي رصدوها، أو نظروا من خلالها.. لكنها جميعها روافدُ تصبُّ في مجرى واحدٍ؛ ينشُدُ الصوابَ والسداد؛ لتستقيم الحياة، وتتهذب النفوس، وينجلي الغبار، وتصفو الأجواء.

وبأيِّ شكلٍ أتت الحكمة، يتقاسمها جانبان؛إيجابيٌّ وسلبيّ -إذا صحَّ التعبير- فإما توكيدٌ على ما يَصِحُّ وينبغي أن يكون،وإما دفعٌ وإنكار للخطأ والزَّلل والانحراف.ولْنبدأ بِطَرَفةَ بنِ العَبد، هذا الشاعرُ الجاهليّ الذي بَزَغَ شبابُه؛ مُمتلئا

---

[٧] نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ١٨/٤.

حكمةً على غير قياس، فربَّما أهَّلتْه ظروفه الأسرية، لتكامل عقليته ونضج شخصيته مبكرا، متجاوزا المراحل المعتادة لغيره، حتى صار شعره؛ فياضا بحِكَمٍ عفوية، ينهلُ من مَعينها الناهلون. ولْنَستمع إلى ما يقول: (من الطويل)

إذا قَلَّ ماءُ الوجهِ؛ قَلَّ حَياؤهُ ... ولا خيرَ في وَجهٍ، إذا قَلَّ ماؤهُ

حياؤك فاحفَظْهُ عليكَ، فإنَّما ... يَدُلُّ على وجهِ الكريمِ؛ حَياؤهُ

تَغطَّ بأسبابِ السَّخاءِ، فإنَّني ... أرى كلَّ عَيبٍ، والسَّخاءُ غِطاؤهُ

ولن يَهلِكَ الإنسانُ، إلاَّ إذا أتى ... منَ الأمرِ، ما لمْ يَرْضَهُ نُصَحاؤهُ

وأوجزْ إذا ما قُلتَ قَولا، فإنَّهُ ... إذا قلَّ قولُ المَرءِ، قَلَّ خَطاؤهُ

وجالسْ رجالَ الفضلِ والبرِّ والتُّقى ... فَزَينُ الفتى في قومِه؛ جُلَساؤهُ

إذا تَمَّ عَقلُ المرءِ؛ تَمَّتْ أُمورُهُ ... وتمَّتْ أياديهِ، وطابَ ثَناؤهُ

أرى الدَّاءَ يَشفيهِ الدَّواءُ، وإنَّني ... أرى الحُمقَ داءً، ليس يُرجى شِفاؤهُ[٨]

فقد أكّد الحياء والسخاء والانتصاح والتعقل ومُجالسة أُلي الفضل والبر والتُّقى، ودعا إلى تَجنُّب فُضولِ القول والسقوط في الحُمق.. وهذه -لَعمري- دالاّتٌ راسيات؛ تُنير دُروبَ السّلم وتُقوِّيه.

ومن نصائح طرفة، كان السخاءُ؛ يتناوله أبو قيس صَيفيُّ بنُ الأسلت، من جهة الإرث وكيف ينبغي التصرُّفُ فيه: (من الوافر)

فَمَنْ وَرِثَ الغِنى؛ فَلْيَصْطَنِعْهُ ... صَنيعَتَهُ، ويَجْهَدْ كلَّ جُهْدِ

ولا يَمْنَعْهُ من حَمدٍ وشُكْرٍ ... ولا يَبخَلْ به عَن فِعلِ رُشْدِ[٩]

فالمال لِمَن يحتاجه، بل على من آل إليه المال؛ أن يَبذُلَ ما بوسعه منه؛ ليوضع في موضعه الناجع، ويصِف البذلَ والعطاء؛ بفعل الرشد؛ لأنه يُقرُّ الخيرَ

---

[٨] ديوان طرفة بن العبد، ص١٣٧-١٣٩.

[٩] ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي، ص٧١.

والمحبَّة، ويَمحَقُ البغضاءَ والتحاسد، وبذلك يتصاعدُ زَخَمُ السلمِ والأمـان، بعـدما أصبحتْ طريقُه مُعبَّدةً سالكة.

فما فلسفتُهم المالية -إذا صحَّ التعبير- يُلخِّصُهـا بِشرُ بـن أبـي خـازم:(من الطويل)

ألاَ إنَّ خَيرَ المالِ؛ مـا كَـفَّ أهلَـهُ عَنِ الذَّمِّ، أو مالٌ وَقى سُوءَ مَطعَمِ[١٠]

إذن هو يبذل لمن يستحقُّ، فيأكلون منه بالحلال، وبذلك يتجنَّب صاحبُه الذَّمَّ؛ لأنه لم يكنزْهُ أو يمنعْهُ عن ذي حاجة. فالمال ذاهبٌ؛ في كل الأحوال، لكنَّ المهـم حصولُ الكرم عند حصول المال.

يُقدِّم عَمرُو بنُ كُلثوم، مُوازنةً لطيفة فيه: (من الرمل)

لستُ -إنْ أطرفتُ مـالا- فَرحـا وإذا أتلفتُـهُ، لـستُ أُبـالي[١١]

إنَّهُ مُتَّزنٌ؛ لا طائش بماله، ولا جزوع بفقده!

فَمَن الفقيرُ إذن؟ يوضح ذلك الزُّبيرُ بنُ عبد المطلب: (من الوافر)

وليس الفقرُ؛ مِـنْ إقـلالِ مـالٍ ولكنْ أحمقُ القـومِ، الفَقيـرُ[١٢]

هذا هو منطقُ الحكمة، في أنَّ فسادَ العقل المُغَيِّبَ للتصرُّف الصائب؛ هـو الفقرُ بعينه، وليست قلةُ المال، فـ**[القناعةُ كنزٌ لا يَفنى]**، كما نقتطـف مـن حِكَـم الأضبَطِ بن قُرَيع: (من المنسرح)

اقنعْ مِنَ العَيشِ، مـا أتـاكَ بـهِ مَنْ قَـرَّ عَينـا بعَيـشِه، نفَعَـهْ

قد يَجمـعُ المـالَ، غيـرُ آكلـه ويأكلُ المالَ، غيرُ مَـنْ جَمَعَـهْ

فَـلاَ تُهِـنِ الكـريمَ، علَّـكَ أنْ تَركعَ يوما، والـدَّهرُ قـدْ رَفَعَـهْ

---

(١٠) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، ص١٩٤.

(١١) ديوان شعر عمرو بن كلثوم التغلبي، ص٩.

(١٢) الحماسة البصرية، ٢/٥.

فَصِلْ حِبالَ البعيدِ إنْ وَصَلَ الـــــ حبْلَ، واقصِ القريبَ، إنْ قطَعــهْ[١٣]

فهذه القيمُ العربية الأصيلة؛ من حُسن الأدب، فهو يدعو إلى إشاعة المــال، وإكرام الكرام، والتواصل الاجتماعي العام، متجاوزا حُدودَ العائلة والأسرة الضَّيِّقَة، إذ إنَّ أسبابَ الأمن والسلام؛ تَهُمُّ المجتمع بأسره.

ولا شيءَ ثابتٌ بِحال، حتى الإنسانُ القريبُ منك؛ قد لا تَراهُ غدا، والبعيدُ؛ قد يعودُ قريبا. يقول يَزيدُ بنُ الصَّامتِ الشَّنّيُّ: (من البسيط)

يَنأى القَريبُ، وقد مُدَّ الأكُفُّ لَـــهُ حتى يَفوتَ، ويَدْنو بَعدما نَــضَبَا[١٤]

ينقل أبو دُواد، مَشهدَ جدال بينه وبين زوجه، ينتهي بانصرافها عنه، لكنــه يستثمر الفرصةَ التي سنَحتْ له ليُدافع عن مَوقفه؛ بالحكمة: (من مجزوء الكامل)

حاولَـــتْ حِـــينَ صَـــرَمْتَني والمَــرْءُ يَعجِــزُ لا مَحالَــةْ[١٥]
والمـــرءُ يكـــسِبُ مالَـــهُ بالـــشُّحِّ يُورِثُـــهُ الكلالَـــةْ
والـــسَّكتُ خيـــرٌ لِلفتـــى فالحَينُ مِن بَعــضِ المَقالَــةْ[١٦]

فالرجل كريم، كما هو عُرفُ المجتمع الكريم، لكنها حاولتْ أن تَحُــدَّ مــن كرمه؛ حرصا على معيشة عِيالها، فلم تُفلح؛ لأن حُجَّتَه أقوى من حُجتها، فلو تطبَّع بالشُّحِّ، فربما منع ماله، حتى عن عياله. وغدا سيموت هو، وسيذهب مالــه إلــى الأباعد.. ويسترسل بحكمته؛ فيذكر أن السكوتَ خيرٌ من كلامٍ لا يَعــرف نتائجــه، فرُبَّ كلمة أودتْ بصاحبها، ولذلك قيل: **[لو كانَ الكلامُ من فِضَّةٍ فالــسُّكوتُ مِــن ذَهَب]**[١٧] كلُّ ذلك كي يَقِلَّ الخلاف، ويتآلف الناس.

---

[١٣] م.ن. ٢/٣.

[١٤] نضب: ذهب. كتاب الاختيارين، ص١٦٣.

[١٥] المحالة: الحيلة، لا محالة: لابد.

[١٦] شعر أبي دواد، ص٣٣٢-٣٣٣.

[١٧] البيان والتبيين، ١/١٩٤.

ويُطالعنا عَديٌّ العِباديّ؛ في سِياق السّكت الذي أثاره أبو دواد، فيقول: (من الطويل)

وأطفِ حديثَ السُّوءِ بِالصمّتِ، إنّــهُ متى يُوْرَ نارا –لِلعِتابِ– تأجّجَــا[18]

فــ**[رُبَّ سكوتٍ؛ أبلغُ من كلام]**،[19] و**[ربما كان السكوتُ؛ جوابا]**.[20] فكأنَّ الشاعرَ؛ يُجانسُ بين إماتةِ السُّوء وإماتةِ الكلام، تجنبا لتفاقم العِتاب الذي ربما يَقسُو؛ فينسِفَ أيَّ تفاهم وتقارب.. فضلا عن أنَّ عقيدةَ الشاعر؛ تجعلــه حريــصا أشــدَّ الحرص على استتباب الأمن والسلام.

وفي تجاوز العتاب –كما ذكر عديّ– بل التغاضي عــن مخالفــة طِبــاع الأصدقاء؛ استبقاءً لوِدِّهم، يقول النابغة: (من الطويل)

ولــستَ بِمُــستَبْقٍ أخــا لا تَلُمُّــهُ على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المُهــذَّبُ؟[21]

فلا تجدُ رجلا كاملَ التهذيب، أو يتطابقُ كليا مع خُلقكَ، فلابد من مــسايرة الآخرين؛ لضمان مسيرة المجتمع، بعيدا عن المشاحنات. فالتأنِّي في إبداء الــرأي،

---

(18) ديوان عدي بن زيد العبادي، ص١٢٠.

(19) المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ص٩٥٣.

(20) م.ن. ص٩٥٣.

(21) مستبَق: مُبقٍ، والسين والتاء للمبالغة. لا تلمه؛ أصل اللم: الجمع، واستعمله –هنا– مجازا في جمع مختلف الطباع. أي: تقبّل من صديقك أعوجاجَ خُلقه. أيّ الرجال المهذب؛ بيان لما قبله، أيُّ: اسم استفهام إنكاري.

كان حَمّاد الراوية، يُقدِّم النابغة على غيره من الشعراء؛ باكتفائه بالبيت مــن شــعره، بــل بنصفه، بل بربعه: "أيُّ الرجال المهذب". وكان عمر بن الخطاب، قد فضّله على الــشعراء؛ بهذا البيت.

ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلاّم الجُمحي، ١/٥٦.

ديوان النابغة الذبياني، ص٥٦.

والتروِّي في إصدار الحُكم؛ من العقل الحصيف، إذ ينبغي الاختبار أولا؛ ليكونَ القرار مناسبا لا يحيف.

في هذا الصَّدد، ينصحُ مالكُ بن القَين الخزرجيّ: (من الطويل)

فلا تُظهِرَنْ ذمَّ امرئٍ، قبلَ خُبرِه ... وبعدَ بَلاءِ المرءِ، فاذمُمْ أوِ احْمَدِ

ولا تتبعَنْ رأيَ الضَّعيفِ، تَقُصُّهُ ... ولكنْ برأيِ المرءِ ذي العقلِ؛ فاقتَدِ[٢٢]

وهو إذ يدعو إلى الاستشارة -فما نَدِمَ من استشار- يُنبِّه إلى تخيّر المُشير الذي ينفعك، ولكي تكون الاستشارةُ مُجديةً؛ ينبغي استشارة العاقل اللَّبيب، هذا الذي يمكن أن يوجِّهَكَ التوجيه السديد، أما مَن ضَعُفَ عقله؛ فلا رأيَ ذا قيمة له، ومِن ثَمَّ فليس من المصلحة اتباعه.

من ذلك نفهم؛ أنه ليس من الحكمة أن ينفردَ الإنسان برأيه، فضلا عن أن يُصرَّ عليه؛ من دون نَظَرٍ إلى آراء الآخرين الذين يُضيفون إلى عقله عُمقا، ويَزيدونه بُعدَ نظر.. بذلك يُوصي النَّمر بن تَولَب، زوجَه: (من مجزوء الرمل)

اعلَمي أنْ كُلُّ مُؤتَمِرٍ ... مُخطِئٌ في الرأيِ، أحيانَا[٢٣]

فإذا لمْ يُصبْ رَشَدا ... كان بعضُ اللَّومِ؛ ثُنْيانَا[٢٤]

فإذا لم يكن رأيه سديدا، لامَهُ الناسُ، لوما بعد لوم؛ الأول: لركوبه هواه بغير مشاورة، والثاني: على خطئه. فبالمشاورة يتوصل إلى الاتفاق على ما يُريح الجميع، وبذلك ضمانٌ للانسجام، وتحقُّقٌ للتلاحم والوئام.

ويرتفعُ أبو قِلابةَ الطابخيُّ -بحكمته- إلى الرُّكون إلى أمر الله تعالى، فهو القادرُ على كلِّ شيء، وهو الذي يُقدِّرُ، ويَقضي بالحق: (من البسيط)

---

(٢٢) كتاب الاختيارين، ص١٦١.

(٢٣) المؤتمر: الذي يركب رأسه، يقال: بئس ما أتمرت لنفسك.

(٢٤) الثنيان: الكلام المعاد، وهو من الأضداد.

شعر النمر بن تولب، ص١٢٠-١٢١.

ولا تَقولَنْ لِشيءٍ سَـوفَ أَفعلُـهُ حتّى تَبيَّنَ ما يَمنِي لَكَ المانيْ[٢٥]

فهذا سيّدٌ من ساداتهم،[٢٦] يُبصِّرُ قومه -بعقليته الناضجة- تَـوخِّي أعلـى المقامات.

ويحاولُ مَطرُ بن أَشيَم؛ سَدَّ أية ثغرة، ممكن أن ينفذَ منها ما يُعكِّر الـصَّفوَ، أو يؤدي إلى التخاصم وربما إلى التنافر، يقول: (من البسيط)

الفخـرُ؛ أوَّلُـهُ جَهـلٌ وآخـرُهُ حِقدٌ؛ إذا تُذكَرُ الأَقوامُ والكَلِـمُ[٢٧]

فهذه دعوةٌ؛ لترك التفاخر الذي قد يؤدي إلى ما لا تُحمد عُقباه، وتتضمن -بالمقابل- دعوةً إلى المحبة والتواضع ونُكران الذات.

يتوسَّع حاتِمٌ؛ بهذه الدعوة سعيا وراء وحدة العشيرة وتوادِّها: (من الطويل)

تَحمَّلْ عن الأدنَينَ، واسـتبْقِ وُدَّهُـمْ ولن تـستطيعَ الحِلـمَ، حتـى تَحلَّمَـا
متى تَرقِ أضـغانَ العـشيرةِ، بالأنَـا وكَفِّ الأَذى، يُحسَمْ لكَ الداءُ مَحْسَمَا[٢٨]
وذو اللُّبِّ والتَّقـوى، حَقيـقٌ إذا رأى ذَوي طَبَـعِ الأخـلاقِ، أنْ يَتكرَّمَـا[٢٩]
فَجاوِرْ كريما، واقتَدِحْ مِن زِنـادِهِ وأَسنِدْ إليهِ، إنْ تَطـاوَلَ، سُلَّمَا[٣٠]

إنّ هذا الشاعرَ؛ يَنبوعٌ صافٍ من ينابيع الحكمـة العربيـة فـي العـصر الجاهلي؛ بِحُكم تنصُّره الداعي إلى السلام.. يقدم الشاعر؛ وسائلَ عمليـة لتحقيـق الغاية المنشودة؛ فعلى كلِّ فرد من أفراد العشيرة؛ أن يتحمّل عن الأقربين، وإذا ما تحمّل كلٌّ عن أقربائه؛ اتحدتْ الأُسر والأحياء، بما يجعل العشيرة والقبيلـة، بـل المجتمع كله، لُحمةً واحدة لا شَطَطَ فيها ولا خِلاف، وذلك مُحافظةً على سيادة الودّ

---

(٢٥) شرح أشعار الهُذَليين، ٧١٣/٢.

(٢٦) هو: سيِّد بَني لِحيان، وعمُّ المُتنخِّل الهذلي.

(٢٧) الوحشيات، ص٢٦٧.

(٢٨) ترقي؛من الرُّقية:العَوذة،أي: تتعوَّذ وتعتصم.الأنا؛من الأناة:الحلم والرفق.حَسَمَ الداء: استأصله.

(٢٩) طَبَع الأخلاق: دنسها وعيبها.

(٣٠) اقتدح من زناده: استورى نارَه؛ كناية عن الاستفادة.

والمحبة بين الجميع، ولابد من تطويع النفس على التحلُّم وتعويدها؛ ليكون الفردُ حليما، ومن ثَمَّ تفعلُ هذه الصفةُ الرفيعة فِعلَها الناجع؛ في صيانة وحدة العشيرة، وإشاعة أخلاق السماحة والتواضع.. وهكذا يمكن مداراةُ أيِّ خَلَلٍ أو اعوجاج، بل معالجة أي داء، قد تنشأ منه ضغينة أو أذى، وبذلك تُسوَّى الأمور وتُدفع الأزمات. ثم يدعو أصحابَ العقول الراجحة وأهل التقوى؛ أن يقوموا بواجباتهم حيال الآخرين، مُتغاضين عن عيوب أخلاق مَن تدنَّستْ أخلاقهم أو فسدت؛ كيلا تستشري وتتسع. ثم يشجع كرامَ الناس وينصح بمجاورتهم ومرافقتهم، ولو ببذل الجهد لذلك، كي نقتبس من خُلقهم وسيرتهم؛ لتشيع بين الناس.. وإذا ما تحققتْ هذه الأسباب، وعُبِّدتْ هذه السُّبل؛ كان الجميع في مأمَن وسعادة ورغد من العيش، زاهر هنيء.

ولا يكتفي الشاعر بهذا المنهج العمَلي لمسيرة سليمة للحياة الاجتماعية؛ حتى يُقدِّمَ نفسَه مِصداقا ماديا، ومثالا حيّا، لما يقول:

وأَغفِرُ عَوراءَ الكريمِ؛ ادِّخارَهُ ... وأُصفَحُ عن شَتمِ اللَّئيمِ؛ تَكَرُّمَا[٣١]

فقد يَزِلُّ الكريم، وقد يُخطئ اللَّبيب، فلا ينقلبُ عليه أو يخسرهُ؛ بل يعفو عنه ويسامحه، إذ إنَّ كلَّ إنسان، معرَّض للخطأ يوما، فلا يفقده سريعا؛ بل يُبقي على وُدِّه وعلاقته؛ أخا وسندا على الأيام. أمّا اللُّؤماء المُصرُّون على الخَنا، فلا يُقابلهم بالمِثل؛ بل يتكرَّمُ عن ذلك ويتجاوز؛ لعلَّهم ينتهون أو يعقلون.

ويُدلي أميَّةُ بن أبي الصلْت؛ بدلْوه في هذا الجدول الرَّقراق، بقوله: (من الطويل)

وأفضلُ بِرٍّ، أنتَ راجٍ ثوابَهُ ... مَبرَّةُ ذي قُربى، بِرَأفةِ آيبِ
وخيرُ سُرورٍ، طِيبُ نَفسٍ، وإنْ ثَوَتْ ... قليلةَ وَفرٍ، في نُفوسٍ جَنائبِ
كفى فَضلَ عقلِ المرءِ، معرفةُ الذي ... يكونُ، ومالا يُستَتَبُّ لِراغبِ

---

(٣١) ادخاره: إبقاءً له، منصوب، مفعول لأجله. ديوان حاتم الطائي؛ ص١١٨-١١٩.

وفَضلُ قُنوعِ المرءِ، حُسنُ انصرافه عن الشيءِ، لا سُبلٌ إليه لِطالبِ[٣٢]

يقال: أفضلُ البرِّ الرَّحمةُ، وأفضلُ السُّرور طِيبُ النفْس، وأفضلُ القُنوع حُسنُ الانصراف عمَّا لا سبيل له. وهكذا يَحشِدُ الشاعرُ؛ طيبَ النفس وفضلَ العقل والقناعةَ، ليحقِّقَ أعلى درجات برِّ الأقارب، وبذلك يُسهم في تنقية أجواء المجتمع؛ في المحصلة الأخيرة، إذ تُنار دروبُ السلم؛ بمصابيح المحبة ونقاء السَّرائر وحُسن التصرف؛ فيما يعني من الأمور، والعفاف عن سواها.

ويوصي حميد الضَّبِّي، بالرِّفق في الأمور، لئلا تجرّ عداوةً: (من الطويل)

إذا أنتَ لم تَعرُكْ، بِجَنبِكَ بعضَ ما يَريبُ، منَ الأدنى، رَماكَ الأباعدُ[٣٣]

إذا الحِلمُ لم يَغلِبْ لكَ الجهلَ، لم تَزلْ عليكَ بُرُوقٌ، جَمَّةٌ، ورَواعدُ[٣٤]

إذن؛ ينبغي أن يُتساهل، بل يجب تجاوز؛ ما قد يحصل بين الأقارب من صغائر؛ لأنك إن لم تفعل؛ خلقتَ تجافيا، ثم تنابُذا؛ يُصيِّرُك منفردا ضعيفا؛ يسهل التطاول عليك، إذ تنفتح ثغرة إمكان اعتداء الأبعدين. وهذا مما يُورث العداوةَ الداخلية -إذا صحَّ التعبير- والعداءَ الخارجي، بعد ذلك. هنا يَبرُز الحِلمُ، وما يقوم به من فعل ناجع؛ بتغليب العقل وحسن التصرف، على الجهل والتسرع. والشاعر يُحذِّر -في هذا المَقام- من نتائج وخيمة مُحتملة.ويُؤكد خِداشٌ بن زهير هذه الخَصلة العظيمة الأثر، وهي الحلم؛ في تهذيب النفوس وتقويم المجتمع، مفتخرا بالتحلِّي به، في كل حين ومهما كانت الظروف، إذ يُثمرُ سلامةً للجميع: (من الطويل)

---

[٣٢] أمية بن أبي الصلت حياته وشعره، ص١٦٤.

[٣٣] في لسان العرب: "عرك بجنبه؛ ما كان من صاحبه، يعركه؛ كأنه حكَّه حتى عفَّاه". ٣٥١/١٢.

[٣٤] كتاب الاختيارين، ص١٦٨.

أَلَـمْ تَعلمــي، والعِلــمُ ينفــعُ أهلَــهُ ... وليس الذي يَدري، كــآخَرَ لا يَــدري
بأنّـــا علـــى سَـــرّائنا، غيـــرُ جُهَّــلٍ ... وأنّا على ضَرّائنا، مِــن ذَوي الــصَّبرِ
ومِن قائلٍ: لا يَفضُلُ النــــــاسُ حِلمَهُ ... إذا اجتمعَ الأقــــوامُ، كالقمرِ البَدرِ[٣٥]

وقد يتّضحُ؛ أنّ هذا الفخرَ ناتجٌ عن حكمة، وهذه الخصال هي ثمرة التبصُّر بالحياة وتتمُّ على عقل رشيد؛ فالغنى لا يَبطَرُهم ولا يستخفُّهم، وفي حال الـضّيق؛ يصبرون ولا ينكسرون، وحِلمُهم ظاهرٌ شامل.. فما سيُحدِثُ كلُّ ذلك، في المجتمع؟ أليس هو الاطمئنان والأمان، والراحة والوئام؟

وعن أهمية "السادة" في سياسة المجتمع الجاهلي وإصلاحهم، يقول الأفــوَه: (من البسيط)

لا يَصلُحُ الناسُ فَوضى، لا سَراةَ لهــمْ ... ولا سَــراةَ، إذا جُهّــالُهُمْ ســادُوا
تُلفى الأمورُ، بأهلِ الرُّشدِ، ما صَلُحَتْ ... فــإنْ تَولَّــوا؛ فبالأشــرارِ، تَنقــادُ
إذا تَولّى سَراةُ القومِ، أمــــــرَهُمُ ... نَمَا على ذاكَ، أمرُ القــومِ، فازدادُوا

وساداتهم محترمون؛ لا غِنى عنهم ولا يَقومُ مَقامَهم سِواهم؛ إذ هم العارفون بتفاصيل حياة الأفراد، وهم المُضَحُّون المُؤْثِرون؛ يحملون أعباء الآخرين؛ يُلبُّـون حاجاتهم، ويؤدون التزاماتهم، ويَغمرون الناس بكرمهم.. وهكذا يــسيرُ المجتمــعُ؛ سيرته الصحيحة السليمة، بِفِعلِ التوجيه الحكيم، لسادة الخير.

إذن؛ الخيرُ والصلاح والرشاد، هي من القيم المطلوبة؛ لــسعادة الإنــسان وسلامته، فإن افتقدَها، وجبَ البحثُ عنها؛ تثبيتا لها، وتمثُّلا بهــا، ودفعــا للــشرّ وابتعادا عنه، كما فعل شاعرنا:

حانَ الرحيلُ إلى قــومٍ، وإنْ بَعُــدوا ... فــيهِمْ صَــلاحٌ لمُرتــادٍ، وإرشــادُ
إنّ النجاةَ، إذا مــا كنــتَ ذا بَــصَرٍ ... من أجَّةِ الغَــيِّ، إبعــادٌ فإبعــادُ[٣٦]
والخيرُ تزدادُ مِنهُ، ما كُفِيــــتَ بِهِ ... والشَّرُّ؛ يَكفيكَ منهُ قَلَّ، ما زادُوا[٣٧]

---

[٣٥] شعر خداش بن زهير العامري، ص٤٦.

ومثلُ الشر والغيّ؛ في سوئهما، البَغيُّ والظُّلم، يقول أُميةُ بنُ طارق الأسديّ؛ في ذَمِّ عاقبتهما، محذرا منهما: (من الطويل)

إيَّاكَ والظُّلمَ المُبيَّنَ، إنَّني — أرى الظُّلمَ يَغشى بالرِّجالِ؛ المَغاشبَا
ولا تَكُ حفَّارا بِظِلفيكَ، إنَّما — تُصيبُ سِهامُ الغَيِّ؛ مَنْ كانَ غاويَا[٣٨]

فالظلمُ عاقبتُه؛ وخيمة على الظالم، كما قالوا: [ظُلْمُ المَرءِ يَصرعُه][٣٩]، فلابد من أن يكتويَ بظلمه، لذا؛ فالحكمةُ والمنطق، يقولان بالابتعاد عن الظلم، فضلا عن مبادئ الحق والعدل والإنصاف.

وشواهد الحياة ملأى بالعِبر؛ مما حدث للظالمين. كما يُحدِّثُنا قيسُ بن زهير؛ عن حَمل بن بَدر: (من الوافر)

تَعلَّمْ أنَّ خَيرَ الناسِ مَيتٌ — على جُفرِ الهَباءَةِ، ما يَريمُ[٤٠]
لقد فُجعتْ بهِ قيسٌ جميعا — مَوالي القومِ، والقومُ الصَّميمُ
وعَمَّ بهِ لِمَقتلهِ، بعيدٌ — وخَصَّ بهِ لِمَقتلهِ، صَميمُ
ولولا ظُلمُهُ، مازلتُ أبكي — عليهِ الدَّهرَ، ما طَلعَ النُّجومُ
ولكنَّ الفتى؛ حَمَلَ بنَ بَدرٍ — بَغى، والبَغيُ مرتعُهُ وَخيمُ
أظنُّ الحِلمَ، دَلَّ عليَّ قومي — وقد يُستجهلُ، الرجلُ الحَليمُ

---

(٣٦) أجة الغي؛ من أجيج النار: استعارها.

(٣٧) شعر الأفوه الأودي، ص١٠.

(٣٨) حماسة البحتري، ص١١٤.

(٣٩) المُنجد، ص٩٦٠.

(٤٠) جفر الهباءة: اسم موضع إحدى معارك داحس والغبراء، انتصرت فيها؛ عَبسٌ على ذُبيان. ينظر: العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رَشيق القيرواني، ٢/٢٠٢.

قال المَرزُبانيّ في تفسير هذا البيت: ليس قوله: (وقد يستجهل الرجل الحليم)، بمعنى: أنّه يُنسب إلى الجهل، وإنما هو بمعنى: يُستخرج الجهل من الحليم؛ يُريدُ: أنّ حِلمَهُ، جرّأ عليه قومَهُ؛ فأنّبَهُم بقوله: قد يُستدعى الجهل من الحليم.[٤١]

فلا تَغشَ المَظالمَ؛ أنْ تَراهُ ... يُمتَّعُ بالغِنى، الرَّجلُ الظَّلومُ
ولا تَعجَلْ بأمرِكَ، واستَدِمْهُ ... فَما صلَّى عَصاكَ، كَمُستديمِ[٤٢]

قال أبو عُبيدة في تفسير هذا البيت: "يقول: عليك بالتأنّي، وإيّاك والعجلة، فإنّ العَجول لا يُبرم أمرا، كما أنّ الذي يُثقّف العُود؛ إذا لم يُجِدْ تَصليته على النار، لم يستقم له". وقال الزّمخشري: "استدمه: تأنّ فيه، وفلانٌ يَصلي عصا فلان؛ أي: يُدبّرُ أمرَه".

ومارسْتُ الرجالَ، ومارسُوني ... فَمعوَجٌّ علَيَّ، ومُستقيمُ[٤٣]

من الواضح أنّ القصيدة في الرثاء، وأنّ الشاعر قالها بعد انتهاء الحدث، وهو متماسكُ الأعصاب متّزنُ المشاعر، منطقيٌّ في عَرض الموضوع، حكيمٌ في استخلاص النتائج والعبر.. من هنا ذُكرتْ في هذا الموضع؛ فأولا: أن الشاعر – وهو سيّدٌ من سادات عَبس– يرثي سيّدا من سادات ذُبيان، أو بَني مُرّة على وجه الخصوص، إذ اضطرّ لقتله بسبب بغيه –كما يذكر– ولولا ظلمُه لبقي يبكيه أبد الدّهر، ويذكر –فضلا عن ذلك– أن القبيلة كلّها –غطفان– فُجعتْ به، بل قيس جميعا بِمَواليها، وذلك لمكانته وخَطَره، ليس في قومه حسب وإنما في العرب قاطبةً، كما يؤكد؛ أنّ القتيلَ خيرُ الناس. وهذا –لَعَمري– تقريرُ رجلٍ مُنصِف تمام الإنصاف، ثُمّ هو أولُ شاعر يَرثي مقتوله، وتُعَدُّ قصيدتُه من أقدم المُنصفات.

---

[٤١] ينظر: معجم الشعراء، المرزباني، ٣٢٢-٣٢٣.

[٤٢] صلّى: قوّم، وكنّى بتصلية العصا، عن تسوية الحال وإصلاحه، وصلى العصا على النار أو بالنار: لوّحها ولَيّنها. كمستديم: مثل الأمر الذي تُداوم عليه. وفي البيت؛ إقواءٌ ملحوظ.

[٤٣] شعر قيس بن زهير، ص٣٧٢.

وإذ أكبرنا فيه؛ إنصافه لخصمه. فينبغي أن نَقبلَ منه أحكامه الأخرى؛ بأنَّ القتيل قد ظَلم ولابد أن يَلقى جزاء ظُلمه، وهذا من أقوى العِبر العملية التي يَستفيدُها الناس، كي يسودَ الإنصاف. وأن الحِلم؛ وإن كان جليلا ومطلوبا، لكنَّ كثرة التجاوزات، واستمرارها؛ تستدعي ردّا بالضرورة، لئلا يُسرف الباغي ويتشجع أمثاله، الأمر الذي يَضرُّ المجتمع، ويُؤذيه في الصميم، وقد قالت العرب: **[القَتلُ أنفى لِلقَتلِ]**. لكنَّ المهم أن يتفكَّرَ المرءُ، ويتأنَّى في اتخاذ التدابير، والإجراءات الناجعة؛ التي تُبعد الظلم، وتُبقي الأسس القويمة؛ لسلامة المجتمع وأمنه وصلاحه. وهكذا يكون الشاعرُ الحكيم؛ ناصحا أمينا، في كل الظروف والمناسبات.

ويتَّصلُ بهذه الحكمة، التي أفرزتْها واقعةٌ معينة، قَولُ عَلقمةَ الفَحل، المُستقى من تجاربَ إنسانية عامة: (من البسيط)

والحَمدُ لا يُشتَرى، إلاَّ لَهُ ثَمَنٌ ... مِمَّا تَضِنُّ به النُّفوسُ، مَعلُومُ

فالحَمدُ لا يُنال إلاّ بالحَمل على النفس؛ الأمّارة بالسُّوء، والإيثار عليها؛ بإعطاء المال، وغير ذلك مما تَبخل به النفوس الشَّحيحة، فهذا ثَمنُه المعلوم؛ الذي تستحقُّ به الحمد حقّا، والثناء.

والجَهلُ ذُو عَرَضٍ، لا يُستَرادُ لَهُ ... والحِلمُ، آونةً في الناسِ، مَعدُومُ[٤٤]

وهذا من نواقص البشر التي تغلب في العَوام، فلكثرة الجهل؛ يعرض، وإن لم يُطلَب، ولقلة الحِلم؛ لاحتياجه إلى أُناس كبار، كأنه ينعدم، وإن احتيج إليه في أوقات الأزمات خاصةً، أي: أن الجهل يَغلب من دون أن يُريدوه، والحِلم يهرب، وهم يُحاولونه ويَسعَون إليه.

وكلُّ بَيتٍ، وإنْ طالتْ إقامَتُهُ ... على دَعائمه، لابُدَّ مَهدُومُ[٤٥]

---

[٤٤] ذو عرض: يعرض لك قبل أن تطلبه، وأنت لا تريده.
يستراد: يرتاد. آونة: مفرد أوان.

[٤٥] ديوان علقمة الفحل، ص٦٢-٧٠.ديوان عامر بن الطفيل ، ص ٣٤.

فكلُّ بيت، وإن سَلِمَ أهلُه، وطال بَقاؤه بإقامتهم فيه، لابد أن يَهلِكَ أهلُه ويخرب. فلا مَنجى للإنسان من هذا المصير المحتوم، ولو كان في بيتٍ عزيز؛ مهما اطمأن إليه، ومهما دامت سلامته فيه.

والخلاصة: أن على الإنسان أن يكون كريما مضحّيا ليستحقَّ الحمدَ الصادق، وأن يَتحرَّى الحِلم ويتمثّله؛ لأهميته وأثره الإيجابي في الناس، وأنه لا محالةَ سيموت حتما مهما عاش في هذه الدنيا.

فما الرابط إذن؛ بين هذه الحِكَم الثلاث؟ إنها تصبُّ في مجرى السلم الاجتماعي؛ إذ إنَّ الذي يَبغي حَمْدَ الناس، وبَقاءَ الذكر الحميد؛ سيساعد الفقراء، ويُلبّي احتياجات المحتاجين، ويفعل الحسنات، وهذه ذات أثر إيجابي طيِّب في نفوس الآخرين؛ تجعلهم مُطمئنِّين على معيشتهم وسلامتهم وأمنهم، مُتحابِّين متآخين؛ إذ لا مكانَ للخلاف، ولا مُسوِّغ للضغائن.. وإذا ما طُلب الحِلمُ واستعملوه؛ انحلتْ العُقد وصُفِّيتْ المشاكل وانطمرتْ الأزمات. إذن؛ يَحُلُّ الصفاء والتفاهم والوئام. وإذا أيقن كلُّ إنسان؛ أنه ميِّتٌ يوما بَعُدَ أو قَرُبَ، فسيزهدُ بالدنيا ولا يتكالبُ على أعراضها ولا يتشبَّثُ بها، فينحُوَ مع الناس نَحوَ التسامح والتساهل في تعامله، ولا يَغلُظ على أخيه في أمر؛ لأنه لا يريد أن يُفارق أحدا؛ وهو عليه غضبان. أليستْ ثمرةُ ذلك كله؛ السلام؟.

وفي طريق السلام، يلقانا عَلَمٌ شامخ من أعلامه، هو عَمرو بن حِلِّزة اليَشْكُريّ، ربما لم يُعرَف شاعرا، كأخيه الحارث، لكنه تفوَّق عليه في باب الإنابة والزُّهد، يقول: (من الرمل)

هَوِّنِ الأمرَ، تَعِشْ في راحةٍ ... كُلَّما هوَّنتَ، إلاَّ سَيَهونُ

تَطلُبُ الراحةَ في دارِ العَنَا ... خابَ مَنْ يطلبُ شيئا؛ لا يكونُ

ليس كلُّ الظَّنِّ، يَخلُو عن هُدىً ... رُبَّما حيَّرتِ الناسَ، الظُّنونُ

وتُقى المرءِ، لَهُ واقيةٌ ... مثلما واقيةُ العَينِ، الجُفونُ

لا تكنْ، شأنَ امرئٍ، مُحتقِرا ... رُبَّما كان منَ الشأنِ، شُؤونُ
دَرَجُ الخَلْقِ، فُضولٌ بَينهمْ ... كلُّ شيءٍ، فلَهُ فَوقٌ ودُونُ
سائلِ الأيّامَ، عَنْ أملاكِهَا ... أيُّ خَلْفٍ، قُطِعتْ عنهُ المَنونُ
يا مُشيدَ الحِصنِ، يَرجُو نَفعَهُ ... قَلَّما يُغني منَ الموتِ، الحُصونُ[٤٦]
سَيَحُولُ المَرءُ عَنْ صُورتِهِ ... وسَيَبلى منهُ، ما كانَ يَصونُ[٤٧]

نَتلمَّسُ -هنا- فكرا حيّا؛ نابعا عن إحساسٍ واقعي؛ أقوى أثرا من الأيام، وأبعدَ أمدا من حياة الأنام، حتى لكأنَّ القصيدةَ تبدو إسلاميةً بمضامينها، ولكنَّ الشاعرَ -لعُمق تجربته وطُول تَدبُّرِهِ وسلامة تفكُّرِهِ- نَصعَتْ حكمتُهُ وارتقَتْ؛ فالحكمةُ هي الحكمة في كلِّ عَصرٍ ومِصر، ولدى كلِّ قَوم ودِين، فضلا عن أنَّ عربَ الجاهلية؛ لَيسوا خالي الذِّهن من العقائد السَّموية المباركة، لاسيما الملَّةَ الحَنيفيَّةَ الغرَّاء.. وهكذا حَيَواتُ البشر، تتكرَّرُ وكأن الأجيالَ تُستنسخ، لأن الإنسانَ جَوهرٌ واحد؛ كما فَطَرَهُ الله سبحانه.

يبدأ الشاعر بتبسيط الأمور؛ ليعيشَ الإنسانُ في راحةٍ نفسية؛ تُعينه على العمل، وإن كانت الراحةُ المطلقة بعيدةَ المَنال في هذه الدار الفانية، وربَّما وجدنا في بعض الظنون؛ يقينا صادقا نهتدي به، فلا نتعجَّل رفضَه، وخيرُ ما يَقي الإنسانَ؛ هي التَّقوى وعدم التجاوز على حقوق الآخرين، فلا تَحقِرنَّ شأنَ أيِّ إنسان؛ فربما كان فيه كلُّ الخَطَر، والناسُ مراتب ولا حَسَدَ في ذلك. ثم يقول: إنَّ كلَّ أولئكم مآله الموت مهما عَلَتْ منزلةُ بعضهم؛ الملوك والسُّوقة، ولا حاجزَ عن الموت ولا حاميَ، فسينتقلُ إلى عالَمٍ آخرَ، ويتبدَّدُ ذلك الجسد الذي كان يُعنى به، وينماز مُنفردا.وهذه الأفكارُ -على بَداهتها- لها أهميتُها ونفعها في المسيرة الإنسانية

---

[٤٦] قلما يغني: لا يغني.

ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ٢٨٥/١.

[٤٧] الحماسة البصرية، ٤٢٩/٢-٤٣٠.

الهادئة، ولاسيما أنها مُنصرِمةٌ حتماً، فلا مُبرِّرَ لِتعقيدِها أو تعكير صفوها.فمهما علا الإنسانُ، وأيَّ شيء حَصَّل، فسيتركه وسينهار من بين يديه؛ مادام المــوتُ لــه بالمرصاد، عندما يَدنو أجلُ المَرء فلا يَملكُ إلاّ البكاء،وهذا من الدلالات القائمة على ضَعف الإنسان، فيا ليتَه أدرك هذه الحقيقةَ مُبكِّرا،وهنيئا لمجتمعٍ وعى ذلك واتَّعظ.

يبكي أُفنونُ التغلبيّ؛ نفسَه: (من الطويل)

فَلا خَيرَ فيما يَكذِبُ المرءُ، نفسَهُ — وتَقوالِه للشيءِ: يا لَيــتَ ذَا لِيَــا
لَعمرُكَ ما يَدري امرؤٌ؛ كيفَ يَتَّقي — إذا هُوَ لم يَجعلْ لَــهُ، اللهَ واقِيَــا
كَفى حَزَنا؛ أنْ يَرحلَ الحَيُّ غُدْوَةً — وأُصْبِحَ في أعلى إلاهةَ، ثاوِيَا(٤٨)

فمادام هذا هو مَصيرُ الإنسان، وأنه سيغادِر هذه الحياة بما فيها. فَلْيَزهَد بكل شيء، ولْيَتَّجِه إلى ربِّه، مُتوكِّلا عليه وحده؛ الباقي، فإذا مات الإنسان؛ يُلحَــدُ فــي الارض، ويتركه أهله، وسائر معارفه؛ وحيدا فريدا، وهذه هي المُــصيبةُ الكبــرى التي سيواجهها مُرغَما.. فهل بعد هذه الصورة الحزينة التي تنتظره؛ يتطاولُ علــى أخيه الإنسان أو يتخاصم؟ لابد أن يكون السلام.

ويقرر عامر –في رثاء أبيه طُفَيلا– أنَّ كلَّ شيء ذاهب: (من الطويل)

ألاَ كلُّ ما هَبَّتْ بهِ الرِّيحُ، ذاهِــبُ — وكلُّ فتىً –بعدَ السلامةِ– شاجِبْ(٤٩)

فلا يَطغى الإنسانُ، بل لا يطمعُ بشيء، مادام سيموت، مهما عاش ومهمــا امتلك من صحة وقوة وأموال.. فلْيكن –إذن– قانعا مسالما طيبا.

ولما دَفنَ المُهلهِلُ؛ أخاه كُليبا، قام على قَبرِه؛ يَبكـــــــيه، وأنشأ يَرثيــه: (من الوافر)

أَرِقتُ، ونامتِ الــشُّعراءُ عنِّــي — ولِلبـــاقينَ بعــدُ؛ بِنَــا اعتبــارُ
أُصــرِّفُ مُقلتِــي، آثــارَ قَــومٍ — تَباينَــتِ الــبلادُ بِهِــمْ، فَغــارُوا

---

(٤٨) إلاهة: الموضع الذي مات فيه أُفنون. شاعر فارس؛ أُفنون التغلبي، ص٣٠٠.

(٤٩) شاجب: هالك. ديوان عامر بن الطفيل، ص٢٤.

فلَــو أنَّ البُكـــاءَ يَــرُدُّ شــيئا لَجيءَ بِه، الذي رُزِئَتْ نِــزارُ[٥٠]
سَقاكَ الغَيثُ، إنَّــكَ كُنــتَ غَيثــا ويُسرا، حِــينَ يُلــتمَسُ اليَــسارُ
وإنَّكَ كُنــتَ تَحلُــمُ عَــنْ رِجــالٍ وتَعفُــو عَــنهُمُ، ولَــكَ اقتِــدارُ
فَلاَ تَبعَــدْ، فَكــلٌّ ســوفَ يَلقَــى شَعوبا، يَستديرُ بِهَــا المَــدارُ[٥١]
فَعَيشُ المَرءِ عِنــدَ بَنــي أَبيــه ويُوشِكُ أنْ يَصيرَ بِحيثُ صــارُوا
كأنِّي، إذ نَعــى النَّــاعي كُلَيبــا تَوَقَّدَ -في مَناخِري- التَّبــارُ[٥٢]
فَحادتْ ناقَتي، عَــن ظِــلِّ قَبــرٍ ثَــوَتْ فيــهِ المَكــارِمُ والفَخــارُ
وأنَّ اللهَ لا يَخفــــى عَليــــه عَلانيةُ الأُمورِ، ولا الــسِّرارُ[٥٣]

ولا تخفى في هذه القصيدة الرائعـــة؛ المقـــابلات البديعـــة، والاســـتعارات اللَّطيفة، فضلا عن المعاني الشفيفة؛ التي صاغتْها عواطفُ صادقة. لكنَّ المهــم - هنا- أن نتبيَّنَ مَواطنَ الحكمة في ظلال الأبيات، ففي مثل حالتــه؛ يكــاد يتطهَّــر الإنسان من أدران النفس وشوائب الدنيا؛ فأرقه بسبب غرقه مُتفكرا بالموت الــذي حلَّ به، وتفكُّره هذا تدبُّرٌ واعتبار، له ولكل الناس؛ فكم من قريــب حبيــب ألحــدَهُ الموت؛ فغابَ إلى الأبد، فماذا يفعلُ إزاء ذلك؟ هل يبكي؟ ولا ينفع البكاء بــشيء، ولا يردُّ أحدا مات. إذن هو لا يملك إلاَّ أن يدعوَ للميْتِ؛ ذاكرا مكارمَهُ ومحامــده، ولاسيما ما كان يتمتع به من حِلم، ويُعزِّي نفسَه بأنَّ هذا طريقنا جميعا، وكل حــيٍّ مصيره إلى حفرة في الأرض، فموت أحدنا نذيرٌ للآخرين لِيستعدُّوا، ويعملــوا مــا يستطيعون من المَكرُمات التي تَبقى ذكرا طيبا يُخلِّده، وفخرا جميلا لأهله، وفــوق هذا وذاك، إنَّ الله تعالى يعلم كلَّ شيء؛ فلا يَخفى عليه ما كان مما أعلنه الإنــسان

---

[٥٠] الذي رزئت نزار؛ هو: كُليب.
[٥١] لا تبعَد: لا تَهلِكْ، (ويُروى بضم العين). الشعوب: المنيَّة.
[٥٢] التبار: الهلاك.
[٥٣] المهلهل بن ربيعة التغلبي حياته وشعره، ص٢٣٧-٢٤٤.

وعُرف، وما كتَمه فبقي مخبوءا في الأسرار. إذن فليَحسُن عملُنا وقولنا في كل حال، ظاهرا وباطنا. وإذا ما سعى أفرادُ المجتمع هذا المسعى، كيف سيكون حال المجتمع؟ سينعمُ بالهُدوء والاستقرار، وبالهناء والرفاه، وبذلك يكون آمنا لا شائبةَ تُقلِقُ سلامه، ولا عقبةَ تحُدُّ من رُقيِّه وسعادته.

جاء في رثاء النابغة، أخاه لأُمه؛ عاتكةَ بنت أُنَيس الأشجعي: (من البسيط)

سَهلُ الخَليقةِ، مَشَّاءٌ بأقدُحِه … إلى ذَواتِ الذُّرى، حَمَّالُ أثقالِ[٥٤]
حَسْبُ الخَليلَينِ، نَأْيُ الأَرضِ بَينَهُما … هذا عَلَيهَا، وهذا تَحتَها بالِ[٥٥]

نرى الحكمة في البيت الثاني، إذ إنَّ كل اثنين مهما قَرُبا وتحابَّا، إن لم يُفرَّقْ بينهما شيء؛ لشدَّة اتحادهما وتلاحمهما، لابد أن يُفرِّقَ بينهما الموت، الذي لا يستطيع صدَّه أحد، مهما أُوتي من شيء. ولكن إذا تساوى الأمواتُ تحت الثَّرى، فهل تتساوى آثارُهم في الدنيا؟ قطعا لا، فشتَّانَ ما بين صاحب الخُلُق الكبير؛ المتسامح مع الآخرين، الكريم؛ الذي يَحملُ عنهم ما تَنوءُ به كَواهلهم، وبين غيره، فهذه المزايا الحميدة هي التي سيذكره بها؛ الباقون بعده. وهذا ما يُشجِّعهم على السَّير سيرَته ليُحمدوا حمدَه. وبذلك يكون المجتمع على خُلق كريم؛ يعيش في صفاءٍ ومحبة. وقد لا تسيرُ الأمورُ، سيرتَها الطبيعة المُثلى، فيتسلَّلُ الشرُّ والسوء، وإن كان هناك العقلاء النصحاء، لكن قد لا يجدون أُذُنا صاغيةً مُلبِّية.. يقول الجَمَّالُ بنُ المُعلَّى العَبْديّ، بأسفٍ شديد: (من الطويل):

نَصَحتُ لِعبدِ القيسِ، يَومَ قَطيفِهَا … وما خَيرُ نُصحٍ قِيلَ، لا يُتَقَبَّلُ
فَلَو أنَّ قَومي طاوَعُونيَ، أَصبَحوا … بِمَنزلةٍ، فيها عَنِ الشَّرِّ مَزْحَلُ[٥٦]

---

[٥٤] أقدحه: قداح الميسر. ذوات الذرى: النوق؛ جُزُرُ المَيسر.

[٥٥] ديوان النابغة الذبياني، ص٢١١.

[٥٦] مزحل: مَبعَد، من؛ زَحَلَ عن مكانه: تَنحَّى وتباعد. ينظر: مختار الصحاح، الرازي، ص٢٦٩.

لَقدْ غرَّتِ الدُّنيا رجالا، فأصبَحوا   بِمَنزلةٍ، ما بَعدَهَا مُتحوَّلُ[٥٧]

لقد حاول أن يُثنيَهُمْ عن القتال، لكنه لم يُفلح، والناصح مُحبٌّ حريص، لكنَّ الطيش والعِناد -أحيانا- يركبان الرؤوس؛ ليسوقاها إلى ما يَسوؤها، في الوقت الذي تكون فيه النصيحةُ فرصةً ثمينة؛ إن لم تؤخذ مأخذَ الجدِّ في حينها؛ ضاعتْ، وهذا ما كان. وقد أقامَ الشاعرُ مُوازنةً بين حالين، الأولى: فيما لو أطاعوه؛ سيبتعدون عن الشرِّ وضُرِّه، والثانية: إذا لم يُطيعوه؛ فسيُلقون أنفسهم في الشرِّ ونَوازله، وقد انزلقوا في الثانية؛ إذ اغتالتهم الدنيا بخداعها -كما عبّر عنهم- فكان مصيرهم الخسرانَ والهلاك.. وهذه عِبرةٌ بالغة لمن يَعتبر، فبالتَّروِّي والتعقُّل؛ تُتَجنَّبُ الحرب، ويَثبُتُ السلام.

بعد مقتل حُجر؛ أبي امرئ القيس، نَظَمَ عَبيدٌ بن الأبرص الأسديُّ، هذه القصيدة، يَذكر فيها بعض الحِكَم القبلية، التي يَتخلَّلُها الفخرُ الملائم لها: (من الطويل)

إذا كُنتَ لَمْ تَعبأْ بِرأيٍ، ولَمْ تُطِعْ   إلى اللُّبِّ، أو تُرعي إلى قَولِ مُرشِدِ[٥٨]
فلستَ وإنْ عَلَّلتَ نفسَكَ بالمُنى   بِذي سُودَدٍ بادٍ، ولا كَرْبَ سَيِّدِ[٥٩]
لَعَمرُكَ ما يَخشى الجليسُ تفحُّشي   عليهِ، ولا أنأى على المُتَودِّدِ[٦٠]
ولا أبتَغي وُدَّ امرئٍ قَلَّ خَيرُهُ   وما أنا عَن وَصلِ الصَّديقِ بأصيَدِ[٦١]
وإنِّي لأُطفي الحربَ بعدَ شُبوبِهَا   وقد أُوقِدَتْ للغَيِّ في كُلِّ مَوقِدِ[٦٢]

---

[٥٧] الحماسة الشجرية، ١/١٩٦.

[٥٨] اللب: العقل. أرعى إليه، يرعي: استمع إلى كلامه وأصغي، ولم يحذف حرف العلة في حالة الجزم، على لغة ضعيفة.

[٥٩] علل نفسه: شغلها وألهاها. السودد: العزُّ والسيادة. كرب سيّد: قريب من السيادة.

[٦٠] الجليس: المجالس. التفحش: قول القبيح. أنأى: أبعد وأجتنب. المتودد: المتحبب.

[٦١] أصيد: متكبر ومُجتنب.

[٦٢] الغي: الضلال.

وأغفرُ للمَولى، هَناةَ تَريبُني فما ظَلْمُهُ -ما لم يَنلْني- بمُحقِدي[٦٣]
وجدتُ خؤونَ القومِ كالعُرِّ يُتَّقى وما خلتُ غمَّ الجارِ، إلاّ بمَعهَدي[٦٤]
ولا تَتبعَنَّ الرأيَ منهُ، تَقُصُّهُ ولكنْ برأيِ المَرءِ ذي اللُّبِّ؛ فاقتَدِ[٦٥]
ولا تَزهَدَنْ في وَصلِ أهلِ قَرابةٍ لِذُخرٍ، وفي صُرمِ الأَباعدِ؛ فازهَدِ[٦٦]
فما عَيشُ مَن يَرجو خِلافي،بِضائري ولا مَوتُ مَن قد ماتَ قَبلي، بِمُخلِدي[٦٧]

لقد وُفِّقت هذه المعاني إلى عَينِ الصواب؛ لأنها صَدَرتْ عن آهاتٍ حَرَّى وزَفَرات جيّاشة، كانت تُعانيها قبيلةُ الشاعر؛ إذ زَكا كلامه، بعدما انجلت الغُبرة، وقضى الحقُّ على الملك الظالم. فقد خَبِر أهوالَ الحرب ومساوءها، وارتاح من جبروت ذلك الجائر، فلعلّه -لهذين السببين- يتكلمُ بحِكمةٍ واتزان، فاسحا المجال لِلُغة العقل، أن تأخذ حريّتها ومداها، لِتنثرَ هذه الشَّذَرات الثمينة الرائعة: فلا يمكن أن تكون عزيزا، وليس لك أن تقصِدَ السيادة؛ إذا لم تتعقّل وتَستشر الآخرين في القرارات المهمة. ثم يتحدَّث عن محاسن نفسه، مما يَصلح التأسي بها: فهو لا يُخطئ بكلمة أمام جليسه؛ حفاظا على شَدِّه إليه، ولا يَبتعد عمّن يتقرّبُ إليه؛ لتبقى أواصرُ المودَّة والصداقة، حاضرةً أبدا. في المقابل هو ينأى بنفسه عمَّن لا خيرَ فيه، فالخير يجب أن يسود. وهو الساعي لإطفاء نار الحرب -إذا ما أُوقِدت- فلا يرتضيها عاقل، فضلا عن تحاشي شُبوبها. فإذا ما وقع زلل من صديق أو قريب -غير مُتعمَّد- يتجاوزه ويتغاضى عنه؛ إبقاءً للصداقة والرحم، والتقارب والتآلف، ولكن الخَؤونَ، يُبعده ويَبتعد عنه، فلا اعتماد عليه في خير؛ لأنه يرى أن يكون كلُّ

---

[٦٣] المولى: الصديق والحليف والقريب. المحقد: ما يجعلني أحقد.
[٦٤] العر: الجرَب. غم الجار: حزنه وكربه. معهدي: منزلي.
[٦٥] تقصه: تبحث عن صحته، وتُتعب نفسك في ذلك، أو تحفظه.
[٦٦] الذخر: ما يأتيك نفعه فيما بعد. الصرم: القطع والهجر.
[٦٧] خلافي: خصامي وعداوتي. ضائري: يضرني. مخلدي: يمنحني الخلود.
ديوان عبيد بن الأبرص، ص٥٤-٥٦.

واحد في خدمة الآخرين، فحزن الجار -مثلا- يكون حزنا لذاته هو. ولا يرى نفعا حتى في رأي ذلك الخؤون، ولكن النفع كلَّ النفع في رأي اللبيب الحصيف؛ الذي يُؤْثِر الجماعة ومصالحَهُم العليا على مصلحته الشخصية. ثم يوصي بوصل الجميع وتواصلهم، أقاربَ كانوا أم غيرهم. أخيرا يقول: بإن عَيشَ المُخالف لي لا يضرُّني بشيء، فلا يسعى بعداوته ولا يتمنَّى موته، لأن الناس كلَّهم سيموتون -في النهاية- ولا خلودَ لأحد. فلْيعيشوا جميعا، بسلام واطمئنان، أيامَهم في هذه الحياة؛ ملتمسين ما يصون مسيرتها من خلقهم هذا، الذي اتفقوا على علوِّه، وصلاحه للجميع.

وتتشابه هذه القصيدةُ، مع قصيدةٍ لطرفةَ بن العبد؛ في الوزن والقافية، ومواضعَ كثيرة من المضمون: (من الطويل)

لَعَمرُكَ ما الأَيّامُ، إلاَّ مُعارةٌ … فما اسطَعتَ مِن مَعروفِها، فَتَزوَّدِ
ولا خَيرَ في خَيرٍ، تَرى الشَّرَّ دُونَهُ … ولا نائلٍ، يأتيكَ، بعدَ التَّلَدُّدِ
عَنِ المَرءِ لا تَسألْ، وأبصرْ قَرينَهُ … فإنَّ القَرينَ بِالمُقارِنِ، مُقتَدِ
لا يَرهَبُ ابنُ العَمِّ - ما عِشتُ- صَولَتي … ولا أَختَتي، مِن صَولَةِ المُتَهدِّدِ[٦٨]
وإنِّي، وإنْ أوعدتُهُ أو وَعدتُهُ … لَمُخلِفُ إيعادي، ومُنجِزُ مَوعِدي
وفي كَثرةِ الأَيدي، عَنِ الظُّلمِ زَاجِرٌ … إذا خَطَرتْ أَيدي الرِّجالِ، بِمَشهَدِ[٦٩]

وهذا يُقرِّرُ حقيقةَ زوال الدنيا، أو زوالنا عنها؛ داعيا إلى تثبيت أُسس الخير والإصلاح، وغلق أبواب الشُّرور، ودفع الغُشم والعدوان؛ بسلاح الخلَّة الحسنة، وتغليب الإيثار على الثأر، واستجماعِ القوة للانتصاف والإنصاف، ليَستقِرَّ الناسُ آمنين؛ بِمحبَّةٍ ووئام.ويُدلي الزُّبيرُ بن عبد المطلب، بِدَلْوِ الحكمة الناصعة؛ بما لديه من إرث الحَنيفيَّة البَيضاء: (من الوافر)

صَغيرُ القَومِ، في التأْديبِ، يُرجى … ولا يُرجى على الأَدَبِ، الكَبيرُ

---

(٦٨) أختتي: أخضع.

(٦٩) ديوان طرفة بن العبد، ص١٥١-١٥٢.

تُصيبُ الخيرَ، فيمَنْ تَزْدَريه ... ويُخلفُ ظنَّكَ، الرَّجُلُ الطَّريرُ
مَتى تُطفي كبيرَ الشرِّ، يُطفى ... وإنْ أوقَدْتَهُ، كَبُرَ الصَّغيرُ
كمالُ المَرءِ، حُسنُ الدِّين، منهُ ... ويُنقصُهُ -وإن كَمُلَ- الفُجورُ
إذا لَمْ تَدرِ ما الإنسانُ، فانظُرْ ... مَنِ الخِدْنُ المُفاوِضُ، والوَزيرُ[٧٠]

ولا تبعُدُ هذه الأفكارُ عمّا قدَّمه طرفة، ولكنها أكثرُ عمقا، وتركيزا على الدين الذي هو مَنبَعُ كلِّ خيرٍ وفضيلة، وتهذيب ورفعة شاملة، وأُخوَّة ناجعة.. تُثمر صفاءً وطِيبة وسعادة للمجتمع كلِّه.

وهكذا نجدُ حكمةَ العرب؛ تسمو بالإنسانية إلى كمالها، فقد تنوَّعت الدعوة إلى حُسنِ المواقف والتصرُّفات الهادفة إلى سبيل الرشاد، لكنَّ المُحصِّلةَ النهائية تقول: إن الغاية كانت دائما، هي خيرُ الإنسان وأمنُه وطمأنينته في حياته ومعيشته وعلاقاته، ومِن ثَمَّ شعوره بالأمان والاستقرار، لِينعمَ بالراحة والسعادة، والحياة الكريمة المسالمة.

وإذا كانت الأمورُ بِعواقبها، فإنَّ هناك جانبا آخرَ في حياة العرب قبل الإسلام، تكون ثمرتُهُ إحسانا وصفاءً وسلاما، ألا وهو الاعتذار، الذي يُشكِّلُ ظاهرةً تتنوَّع مصادره ودوافعه، لكنَّ نتيجته واحدة، وهي الأمنُ والأمان. من هنا يدخلُ بابَ الحكمة بشكل مشروع؛ لأنها أساسُ هذا الفعل والتصرف، فالحكمةُ هي التي تُوجِّه الإنسانَ نحو الاعتذار؛ لاحتواء الإشكالات التي تحدث بسبب سُوء الفَهم أو سوء الظَّنِّ، فيقوم الاعتذار برفع الاختلاف ودفع الخلاف، وتصفية النفوس، وتنقية العلائق الاجتماعية. فمنطق الحكمة يَسُدُّ بابَ الشِّقاق؛ لئلا يتفاقم الوضع ويؤول إلى التقاطع والخصام، وتسوء الحال. وتقفُ الحكمةُ بفعلها الإيجابي وآثارها الحميدة؛ مانعةً لِتعقُّدِ الأمور، وإنذارها بالويل والثبور...

---

[٧٠] الحماسة البصرية، ٢/٥.

إذن؛ هذا جانبٌ مهم، من جوانب الحكمة العربية قبل الإسلام، مارسه الشاعر العربي الحكيم -غالبا- نيابةً عن قبيلته أو أُسرته، وقد يمارس ذلك بِصفة شخصية في علاقاته مع الآخرين؛ بما يُشكِّلُ مِصداقا، لما يمارسه أفرادُ المجتمع فيما بينهم، أو مِثالا يحتذيه الآخرون.

وأكثرُ الاعتذار يكون لِلملوك ومَن إليهم، يعتذرُ الشاعرُ عن قبيلته أو أُسرته أو جماعةٍ من أقربائه أو من غير قرابته أو فرد بعينه أو عن نفسه خاصةً، وقد يكون بشكل نَدَمٍ أو استرحامٍ أو استعطافٍ أو استرضاءٍ، أو يُحاولُ تَرقيقَ قلبِ الملك -أو السيّد المعتذَر إليه- لِيَلينَ ويُشفِقَ، أو ربما يَنفي ما حَدَثَ من سُوءٍ أو يَتبرَّأَ منه أو يُنكرُ أقوالَ الواشين أو يُحذِّرُ من سوء العاقبة؛ إذا شطَّ المسؤول برأيه أو عانَد وكابَر ولم يَفسح المجالَ للحوار أو لم يُصغِ للحكمة ومَنحى السلام، أو يَحسمُ الشاعرُ الأمرَ؛ بِعَرض الوقائع والحقائق، مُجملةً أحيانا ومُفصَّلةً حِينا، مُبرهِنا على صدِق ما يقول بالدليل القاطع، أو بالشهود والمنطق، أو تحكيم المخاطَب؛ بِسَدادِ عقله وفِطنته وحِنكته، ومعرفته بالمخاطِب، وتجاربه..

وهذه مجموعةٌ من الشواهد الشِّعريَّة -رُوعِيَ في إيرادها التَّسلسلُ الزَّمني- لتكون دليلا أمينا؛ ينطقُ بما حَدَثَ، كما حدث بالفعل. قاطعةً بأنَّ جوهرَ الاعتذار؛ يَكمُنُ في الحكمة، فضلا عن أنَّ دَوافعَهُ ومُنطلَقه -بلا شك- من الحكمة، أمّا خواتيمه ونتائجه؛ فتؤكد أنها هي الحكمة..

بَلَغَ أحدَ ملوك كِندة - والراجحُ أنّه حُجرُ بنُ الحارث- أنَّ السَّمَوألَ بنَ عادِياء؛ قد شَتَمَهُ، فقام الشاعرُ ينفي عن نفسه؛ قولَ السُّوء بِقوَّة، معتذرا إلى الملك: (من الطويل)

وإنْ كانَ ما بُلِّغتَ عنّي، فلامَني صَديقي، وحُزَّتْ مِنْ يَدَيَّ الأَنامِلُ[٧١]

---

[٧١] ديوان السَّموأل، ص٤٣.

يقول له: إن كان ما بلّغتَه عني حقّا، فأنزلَ اللهُ فيَّ ما ذكرتُ من العقوبة؛ أني أتقبّلُ إنكارَ المُقرَّبين مني وعتابهم عنك، فإذا ما كذبتُ فيما دفعتُ به عن نفسي؛ فلْتُقْطَع يدايَ كلتاهما؛ جزاءً مُضاعفا، ونكالا لمن يسرق ويُذّكَ بغير استحقاق. وذلك التغليظ كلُّه؛ طمعا في تصديق الملك له، ورضاه عنه.

قال محمدُ بن السائب الكَلبي: كانت لِحُجر على بني أسد؛ إتاوةٌ، يأخذها جابيه كُلَّ سنة. فمنعوه ذلك، وضربوا رُسُلَهُ، فسار حُجرٌ إليهم، وصَيَّرهم إلى تِهامة، وحَبس منهم عَمرَو بنَ مسعود -وكان سيِّدا- وعَبيدَ بن الأبرص؛ الشاعر، ثم إنَّ عبيدا؛ قام، فقال: أيها الملك؛ اسمع مَقالتي، فأنشده قصيدةً كلَّها بكاء على بني أسد، واستعطاف لِحُجر، واعتذار إليه[٧٢]: (من الكامل المرفّل)

يـا عَينـي فـابكي -مـا- بَنـي أَسَـدٍ، فَهُـمْ أهـلُ النَّدامَـةْ[٧٣]

حِـلا -أبَيـتَ اللَّعـنَ- حِـلا إنَّ فيمـا قُلـتَ؛ آمَـةْ[٧٤]

أنتَ المَـليكُ عَليهِمُ وهُمُ العَبيدُ، إلى القِيامَةْ[٧٥]

فَرقَّ لهم حُجر، وعفا عنهم، وردَّهم إلى بلادهم.

ويَتبرَّأ عَمرو بن قَميئة، من اتهامٍ باطل، مُعتذرا إلى أحد الملوك، والمظنون أنّه عَمرو بنُ هند؛ من ملوك المناذرة: (من المتقارب)

إلى ابنِ الشَّقيقة، خَيرِ المُلـوك أوفَـاهُمُ عِندَ عَقـدٍ، حِبـالاَ

ألَـستَ أبَـرَّهُمُ، ذِمَّـةً وأفـضَلَهُمْ، إنْ أرادُوا فَـضالاَ

فـأهلي فِـداؤكَ، مُـستَعتِبا عَتبـتَ، فـصدَّقتَ فِـيَّ المَقـالاَ

فَما قُلـتُ؛ مـا نَطقـوا بـاطلا ولا كنـتُ أرهبُـهُ، أنْ يُقـالاَ

---

[٧٢] ينظر: الأغاني، ٨٣/٩.

[٧٣] ما؛ زائدة.

[٧٤] حلاً: تحلّل من يمينك. أبيت اللعن: تحية الجاهليين لملوكهم وأُمرائهم؛ أي: أبيت أن تفعل ما تُذَمُّ عليه. الآمة: العيب.

[٧٥] ديوان عبيد بن الأبرص، ص١٢٥-١٢٦.

فإنْ كانَ حقًّا، كما خبَّرُوا ... فلا وَصَلَتْ لي، يَمينٌ، شِمالا
تَصدَّقْ عَلَيَّ، فإنّي امرؤٌ ... أخافُ -على غيرِ جُرمٍ- نَكالا(٧٦)

يَذكر الشاعرُ الملكَ؛ بالخير والوفاء والبِر والفضل، ثم يُفدِّيه وهو يعاتبه؛ لأنه صَدّقَ قولَ الوشاة؛ الذي لا أساس له، ويدعو على نفسه -إن صَدَقَ ذلك القول- تأكيدا لكذبهم، ومع ذلك يطلب منه أن يتصدَّق عليه؛ بأن يُسامحَه ويتجاوزَ له عن العقوبة، وإن لم يقترف ذنبا. فجاء كلامه ليّنا مُبرهَنا بالحجج المنطقية، كي يَلين قلبُ الملك، ويقبل اعتذاره..

وللشاعر طَرَفةَ بن العبد، قصةٌ مع الملك المنذريّ؛ عمرو بن هند، فقد بلغ الملكَ؛ أنه هجاه، فأسرع الشاعر بالاعتذار: (من الكامل)

إنّي وجَدِّكَ، ما هَجَوتُكَ والـ ... أنصابِ، يُسفَحُ بَينَهُنَّ دَمُ(٧٧)

مُتنصّلا من تلك التُّهمة بالقَسم. ولما لم يُجدِهِ ذلك؛ صار يسترحمه بأن يُحسن عليه، لِيَذكُرَهُ له، في كلِّ مَقام؛ يُطريه بِحُسن فعله؛ تشجيعا على العفو: (من المتقارب)

تَصدَّقْ عَلَيَّ، هَداكَ المَليكُ ... فَإنَّ لِكلِّ مَقامٍ، مَقالا(٧٨)

فهو يدعو اللهَ له بالهداية؛ لِيصفحَ عنه، وقد سار الشطر الثاني من البيت مثلا. ولكنه -مع ذلك- لم يُفلح في تحقيق مُبتغاه، فيثور مُحذرا -مع حفاظه على أدب مخاطبة الملوك- ويأتي بالحكمة؛ من واقع الحال: (من الطويل)

أبَا مُنذرٍ! أفنَيتَ، فاستبقِ بَعضَنا ... حَنانَيكَ،بعضُ الشَّرِّ أهوَنُ مِنْ بَعضِ(٧٩)

---

(٧٦) النكال؛ من قولهم: نكلتُ بفلان، إذا عاقبته -في جُرم- عقوبة تجعله عبرةً لغيره.
ديوان عمرو بن قميئة، ص٧١.

(٧٧) الأنصاب: حجارة، كانوا ينسكون لها؛ فأقسم بها. يسفح، يُصَبُّ. ديوان طرفة بن العبد، ص١٠٦.

(٧٨) م.ن. ص١٨٩.

يُخاطبهُ؛ بكُنيته؛ تقرُّبا إليه، مُشيرا إلى مَن قَتل من قومه، فيرجو منه التحنُّنَ عليه تحنُّنا، ولم يقصد -بهذا- مقصدَ التثنية خاصةً. وقد صار الشطر الثاني، مما يُتَمثَّلُ به.

أما النابغةُ؛ فله قصةٌ أوسع، مع النُّعمان بن المنذر -آخر ملوك المناذرة- أفرزتْ عددا من الاعتذاريات لملك الحيرة، حتى قيل: إنه زاد هذا الغرضَ، وأحسنَ فيه،[٨٠] يعتذر في إحداها؛ مما وَشَتْ به بنو قُرَيع بن عوف؛ من تَميم: (من الطويل)

أَتاني -أَبيتَ اللَّعنَ- أنَّكَ لُمتَني ... وتلكَ الَّتي تَستَكُّ منها المَسامِعُ[٨١]

لَعَمري، وما عُمري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ... لَقد نَطَقَتْ؛ بُطلا عليَّ، الأَقارِعُ[٨٢]

أَتاكَ بِقَولٍ، هَلْهَلِ النَّسجِ، كاذبٍ ... ولمْ يأْتِ بالحقِّ، الَّذي هُوَ ناصِعُ[٨٣]

أَتاكَ بِقَولٍ، لم أَكُنْ لأَقُولَهُ ... ولو كُبِّلَتْ، في ساعِدَيَّ، الجَوامِعُ[٨٤]

حَلَفتُ، فلم أَترُكْ لِنَفسِكَ، رِيبَةً ... وهَلْ يأْتَمِنْ ذُو أُمَّةٍ، وهْوَ طائِعُ[٨٥]

---

(٧٩) حنانيك؛ منصوب على المصدر الموضوع موضع الفعل، وثنِّى؛ مبالغةً وتكثيراً، أي: تحنَّن تحنُّناً بعد تحنُّن. أفنيت؛ أصله: أفنيتنا، فحذف المفعول به.

ديوان طرفة بن العبد، ص١٧٢.

(٨٠) ينظر: ديوان المعاني، ٩١/١.

(٨١) تستك: تضيق.

(٨٢) لعمري: مبتدأ، خبره محذوف، تقديره يميني. العَمر: العُمر، ولا يستعمل في الحَلف إلا بفتح العين، واللام: لام الابتداء، يُقصد منها؛ توكيد الجملة.

(٨٣) هلهل: صفة مُشبَّهة، مشتق من الهَلهال: رقة النسج في الثياب. ناصع: واضح.

(٨٤) الكَبْل: القَيد، وقد سلك طريق القلب؛ لقصد المبالغة في التكبيل. الجوامع: جمع جامعة: الغُلّ.

(٨٥) أُمة: نعمة أو قصد واستقامة أو دين. طائع: ليس -هناك- ما يدعوه إلى الحلف الكاذب.

بِمُصطَحِبات، مِنْ لَصافٍ وثَبْرةٍ ... يَزُرنَ إلالا، سَيرُهُنَّ التَّدافُعُ[٨٦]

عَلَيهِنَّ، شُعثٌ عامِدُونَ لِحَجِّهِمْ ... فَهُنَّ -كأطرافِ الحَنِيِّ- خَواضِعُ[٨٧]

لَكَلَّفتَني، ذَنبَ امرِئٍ، وتَركْتَهُ ... كذي العُرِّ ، يُكوى غيرُهُ ، وهوَ راتِعُ[٨٨]

فإن كنتُ، لا ذُو الضِّغْنِ عَنِّي مُكذَّبٌ ... ولا حَلفي ، على البَراءَةِ ، نافِعُ

أَبى اللهُ، إلاَّ عَدلَهُ ووَفاءَهُ ... فَلاَ النُّكْرُ مَعروفٌ، ولا العُرفُ ضائِعُ[٨٩]

يُقدِّم للملك بالتحية المعتادة، إذ هو أكرمُ من أن يُلامَ، واللَّومُ منه شديدٌ على الشاعر؛ حتى لا يستطيع سماعه، ويحلف له بأعزِّ شيءٍ لديه؛ بعُمره، أنَّ الوشايةَ باطلة، مُشبِّها القولَ الكاذبَ؛ بثوب رديء النسج، ووجه الشبه أنه خبرٌ؛ اختلقه الكاذب لنفسه، كما ينسج النسّاجُ الثوبَ الرديء، فكان كَذِبُهُ سخيفا غيرَ مقبول، ثم يُؤكد نَفيِ ما قيل عنه، متعجبا من كذبهم وآسفا لاتهامه، فيقول: لم أكن لأَقولَ ذلك ولو كَبَّلَتْ ساعِديَّ الأغلالُ، ويُعيد الحلِفَ؛ لإزالة أي شكٍّ؛ فهو غير مُكره على الحلف الكاذب، إذ يحلف بِإبل الحجيج الخارجات من دياره وديار حيٍّ من تميم، إشارةً إلى أن أهله ينفون عنه التهمة؛ وهم صادقون، كما ينفيها من ينتمي إلى تميم؛ قبيلة الأقارع الواشين، ودليل صدق مَن أشهدهم؛ أنهم مُتَّجهون إلى مناسك الحج؛ بكل ما يستطيعون من سرعة؛ لاشتياقهم إليها، وحرصهم على أداء الشعائر، غير عابئين بأعباء السفر. ويضرب الشاعرُ؛ مثلا من واقع حياتهم؛ لِيُثبتَ أنه صادق في

---

(٨٦) لصاف: موضع في بلاد بني يربوع؛ قوم النابغة، والاسم مبني على الكسر. ثبرة: واد في بلاد بني مالك بن حنظلة؛ من تميم. إلال: جبل بعرفة؛ حيث يخطُب الإمام، يُدعى -اليومَ- جبلَ الرحمة.

(٨٧) الحني: جمع حَنْيَة: القوس.

(٨٨) لكلفتني: جواب القسم؛ حلفتُ.. كلفتني: ألزمتَني. العُرّ: قرح يخرج في مشفر البعير، يسيل منه ماء أصفر، وهو كالجرب، كانوا في الجاهلية يعالجونه؛ بأن يُكوى بَعير لم يُصبه ذلك الداء في مشفره، يزعمون أن ذلك يُذهب القرح من إبلهم.

(٨٩) ديوان النابغة الذبياني، ص١٦٥-١٧٠.

نفيه، والواشي كاذب، فَمَن المذنبُ؛ الذي يستحقُّ العقاب؟ فإن لم تُكذِّب ذاك الذي دفعه حقده ضدي، ولم ينفعني حلفي على براءتي. أَكِلُ أمري إلى الله تعالى، الذي لا يرضى إلاَّ؛ العدلَ الذي أقامه للناس؛ والوفاء بالحق. أمَّا المنكر؛ الذي نَهى عنه الله، وركَزَ في الفطرة كراهيته، فلا يكون معروفا عند الناس، كما لا يَضيع الجزاء على المعروف عند الله تعالى، وهذه موعظةٌ تَعضُدُ اعتذار الشاعر؛ المبرهَن المتوازن، فَهلاَّ شفع له؛ عند النعمان؟.

يَبدو أن حُسّاد النابغة؛ مُتعدِّدون، وهم لا يَكفُّون عن الدَّسِّ عليه؛ عند النعمان خاصة، فيُعاود الشاعر الاعتذار، استرضاءً للملك، وقطعا لدابر النَّميمة وأهلها: (من الطويل)

فَمهلا -أبيتَ اللَّعنَ- لا تأخُذَنَّني بقِيلِ امرئ، يوما مِنَ الحلمِ مُصرمِ[٩٠]
فَلاَ عَبدَ، بالعبدِ الذي ليس مُعتبا ولا أنتَ، بالرَّبِّ الألَدِّ المُصَمَّمِ[٩١]

يُخاطبُ الملك؛ بألاّ يأخذَهُ بِفرية رجل قليل العقل، مع أنه لا يوجد عبد؛ لم يُذنب ويطلب العفو، وأنتَ -أيها الملك- لستَ بالذي يتطلَّبُ الخصومة، ولا ينتهي عنها؛ فلا تسمع عذرا أو حُجةً، كالذي أصمَّ أُذنيه داءٌ.

وإذا كان النابغةُ قد تجاوز؛ أزمته تلك، مع النعمان. إلاّ أنَّ الأزمةَ الكبرى، والمُعضلةَ الحقيقية، حدثت بينهما، عندما رحل الشاعر إلى الجانب الآخر، صوبَ الغساسنة؛ لشأن يُهم قبيلته، فقامت الجفوة، لكن النابغة سرعان ما عاد يتودَّد إلى مليكه، مُحاولا استمالته واسترجاع إقباله عليه: (من الطويل)

أتاني -أبَيتَ اللَّعنَ- أنَّكَ لُمتَني وتلكَ التي؛ أهتمُّ منها وأنصَبُ

---

(٩٠) المصرم: الذي ليس له من المال إلاَّ صِرمةٌ من الإبل: نحو العشرين، (هنا): كناية عن القلة.
(٩١) معتباً: طالباً العتبى: الرضى.
ديوان النابغة الذبياني، ص٢٤٥.

حَلَفتُ، فلمْ أترُكْ لنفسكَ ريبَةً ... وليسَ وراءَ اللهِ، للمَرءِ مَذهَبُ[٩٢]

لَئنْ كُنتَ، قد بُلِّغتَ عَنِّي خيانةً ... لَمُبلِغُكَ الواشي، أغَشُّ وأكذَبُ

مُلوكٌ وإخوانٌ، إذا ما أتَيتُهُمْ ... أُحكِّمُ في أموالِهِمْ، وأُقرَّبُ

كَفِعلكَ في قَومٍ، أراكَ اصطَنَعتَهُمْ ... فَلَمْ تَرَهُمْ في شُكرِ ذلكَ، أذنَبُوا

فإنْ أكُ مظلوما، فَعَبدٌ ظَلَمتَهُ ... وإنْ تَكُ ذا عُتبى؛ فَمِثلُكَ يُعتِبُ[٩٣]

إنَّ قلبَه مهموم، وفِكرَه متعب؛ بسبب لوم الملك إياه، فيحلف له بالله تعالى الذي هو ربُّ الجميع، كي لا يبقى في نفسه أدنى شك؛ يُقسم له بأغلظ الأيمان، أنه بريء مما اتُّهم به؛ من خيانة، بل إنَّ ذلك الواشي، يَغشه ويكذب عليه. ويسلُك الشاعرُ سبيلَ المُحاججة العقلية؛ لِبُلوغ قلب الملك؛ عسى أنْ يَرِقَّ ويعفو، قائلا له: إذا كنتُ قد ابتعدتُ عنك -بُرهةً من دهرك- ابتغاءَ صِلاتِ مُلوكٍ آخَرين؛ آل جفنة ومَن في جملتهم، مثل النعمان بن الجُلاح الكلبي؛ كانوا يفتحون لي خزائنَ أموالهم، ويُقرِّبونني منهم كأخ لهم، كما أنك قرَّبتَ جماعة من الشعراء، فهل أخطأوا عندما مدحوك، وشكروا نعمتك عليهم؟ فلِمَ تلومني على شكر أولئك؟ والمقابلة في البيت الأخير، ألطفُ تلخيصٍ للموقف برُمَّته. فهذه مُحاججة مَنطقية متقابلة، لابد أن تُقنع النُّعمان.[٩٤]

ولما لم تكفِ تلك؛ لتنقية قلب الملك تجاه شاعره؛ ألحقَها بأخرى، ربما أكثر توكيدا، لِبراءته وحبه لمليكه، واعتزازا به وإشادة بكرمه، مع إيراد الشواهد على صدقه، وأعلاها مقام الجلالة الإلهية عند الجزاء: (من الوافر)

---

[٩٢] وراء الله؛ أي: بعد الحلف بالله، لأن الوراء؛ مكان يتركه السائر حين يتجاوزه. مذهب: طريق يذهب فيه.

[٩٣] يعتب؛ أعتب: إذا منح العُتبى: الرضى.

ديوان النابغة الذبياني، ص٥٤-٥٦.

[٩٤] وقد سبق ذكرُ إشادة حمّاد الراوية بشعر النابغة؛ ففي البيت الثاني من القطعة أعلاه، يُلاحَظ استغناءُ كل شطر عن الآخر.

فإنْ كُنتَ امرا، قد سُؤتَ ظَنَّا ... بِعبدكَ، والخُطوبُ إلى تَبالِ[٩٥]
فأرسِلْ في بَني ذُبيانَ، فاسأَلْ ... ولا تَعْجَلْ إليَّ، عَنِ السُّؤالِ
فلاَ عَمرُ الذي أُثني علَيهِ ... وما دَفعَ الحَجيجُ إلى إلالِ[٩٦]
لَما أغفلتُ شُكرَكَ، فانْتَصِحني ... وكيفَ؟ ومِن عَطائكَ جُلُّ مالي[٩٧]
ولو كَفِّي اليَمينُ؛ بَغتْكَ خَونا ... لأَفردتُ اليَمينَ، عَنِ الشِّمالِ
ولكنْ لا تُخانُ الدَّهرَ، عندي ... وعندَ اللهِ، تَجزِئَةُ الرِّجالِ[٩٨]

فما دُمنا في هذه الحياة، فكلُّ الأمور موضع اختبار، فإذا ساء ظن الملك بعبده (الشاعر)؛ فليسأل عشيرته وذويه، قبل التعجل بالحكم عليه، ثم يُقسم له بمشاعر الحجيج المقدسة؛ أنه لم ينسَ عطاءه الذي كان يغمره به ولا يتغافل شكره، فما أهمل ثناءً؛ وهو يطلب -صادقا- دوامَ نُصحه، بل هو مستعدٌ لقطع يمينه إذا تعرضت لخيانة الملك؛ لكنه ليس من الخائنين، وستظهر الحقائقُ ناصعةً في يوم الحساب، إذ يعلم أن الله تعالى؛ يُجازي كلَّ أحدٍ بما فعل، فلا يُقدِمُ على الخيانة أبدا.

وبَعدُ.. فهل ترك الشاعر منفذا لم يَلِجْهُ؛ لإقناع الملك بِحُسن سريرته تجاهه، وألاَّ شائبةَ في تصرفاته؛ لاسترضائه واستعادة ودِّه؟ لذا؛ يُقرِّرُ النابغةُ -أخيرا- قرارا جريئا حاسما: (من البسيط)

سِيري إليهِ، فإمَّا رحلةٌ نَفَعتْ ... أو راحةُ القلبِ، مِنْ هَمٍّ وتَعذيبِ[٩٩]

---

(٩٥) التبالي: صيغة التفاعل؛ لإفادة شدة الاختبار.

(٩٦) فلاَ؛ ابتداء القسم بحرف النفي، لأن المقسم عليه منفي. وما دفع الحجيج؛ قسم ثانٍ، ما: مصدرية.

(٩٧) لما أغفلت شكرك؛ جواب القسم. فانتصحني: أطلب نصيحتي إليك.

(٩٨) وعند الله تجزئة الرجال؛ خبر مستعمل في لازم الفائدة، تجزئة: تفعلة من الجزاء؛ وهو: معاملة الفاعل بمثل فعله من خير أو شر.

ديوان النابغة الذبياني، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٩٩) م.ن. ص٦٧.

يُخاطبُ راحلتَه، فقد جاء القرارُ الصعب الذي لا مفرَّ منه؛ لإنهاء مُعاناته، وهو الذهاب إلى الملك؛ فإما ينفعه لقاؤه ومحاورته المباشرة؛ لتصفية ما بينهما، وينتهي الإشكال، أو ربما يكون مُغامرا بحياته، المهم الآن أنه يريد لقلبه الراحة من القلق الذي ساوَرَهُ طويلا.

وفعلا فقد نجح الشاعر -آخرا- واستطاع -بحكمته- أن يَعبُرَ كل العوائق التي اعترضت علاقته بالنعمان، وإذابة الجليد الذي جَمَّد صلتهما الطيبة، حينا من الزمن.

وكان أُسامةُ بنُ مُنقذ؛ قد ذكر أنَّ مِن بليغ الاعتذار؛ رُوي: أنَّ أبا عُثمانَ المازنيّ، قال: أحسنُ ما قيل في الاعتذار، بيتُ النابغة؛ الآنف الذكر.[١٠٠]

ولِعديّ بن زيد، حكايةٌ أُخرى مع النعمان؛ إذ غضب عليه الأخير وسجنه، بسبب تعاليه على الملك، أو تدخله في شؤون البلاط، أو تنامي نفوذه؛ فصار الشاعرُ؛ يرسل إليه رسائلَ شعريةً -من السجن- أبرزها قوله: (من الرمل)

إذْ أتاني نَبأٌ، مِن مُنعِمٍ … لَمْ أَخُنهُ، والذي أعطى الخَبَرْ
أبلِغِ النُّعمانَ، عَنِّي مَألُكا … قَولَ مَن خافَ اضطغانا، فاعْتَذَرْ[١٠١]
إنَّني، واللهِ، فاقبَلْ حلِفَتي … لأَبيلٌ، كُلَّما صلَّى، جأَرْ[١٠٢]
مُؤمِنُ الصدْرِ، يُرَجِّي عِتقَهُ … يومَ، لا يُكفَرُ عبدٌ؛ ما ادَّخَرْ
واذْكُرِ النُّعمى التي لم أَنسَها … لَكَ، في السَّعيِ، إذا العَبدُ كَفَرْ
إنَّما قَدْ قَدَّمتْ مَسعاتُنا … نِعَما، تَرفعُ مِنَّا مَنْ عَثَرْ
ولنا مَجدٌ، ورَبٌّ مُفضِلٌ … بِيَدَيهِ الخَيرُ، ما شاءَ أَمَرْ

---

[١٠٠] ينظر: لُباب الآداب، أسامة بن منقذ، ص٣٧٧.

[١٠١] المألكة: الرسالة. الاضطغان؛ على وزن افتعال من الضِّغن، قُلبت تاءُ الافتعال فيه طاءً.

[١٠٢] الأبيل: الراهب، وهو من أسماء السيد المسيح.

وشَفيعٍ مُنجِحٍ، يَنظُرُنا بيَدَيه –اليومَ– تَيسيرُ العُسرْ[١٠٣]

حاول الشاعر استعطاف الملك؛ بمديحه وتذكيره بما كان منه تجاهه؛ من سعي خير. وأنه لا يمكن أن يخونه؛ لأنه مؤمن ويراقب الله تعالى في أعماله، ويحلف له على إخلاصه. وإن كان عثر؛ فيعتذر ويأمُل التيسير في قضيته، ولاسيما في ساحة الحقِّ جلَّ ذكرُه.

وإذ لم يَجِد السَّجينُ؛ أُذنا صاغية.. يُعيد الكَرَّة، عسى أن يُفلح: (من البسيط)

مَنْ مُبلغُ الصَّعبَ عَنْ عَانٍ، يَوَدُّ لَهُ طُولَ الحياةِ، وفيما رامَ إظهارَا[١٠٤]

فالحَمدُ للهِ، إذْ نَجَّاكَ مِن عَطَبٍ واللهُ لا يَبتَغي، للحَمدِ، أنصارَا[١٠٥]

فاستَعتِبُوا، واشْكُروا للهِ نِعمتَهُ تُلفُوا إلهَكُمُ، للظُّلمِ، غَفَّارَا[١٠٦]

لكن لم تَنفَعْه الصداقة والعشرة، وحقوقهما؛ لدى الملك، فلْينطلق من ذاته؛ كونه عِباديا مُتَّكلا على البارئ جلَّ وعلا، مُخاطبا الملكَ بصفته الرسمية، بل بِلقبٍ من ألقابه، رأى أنه يَنطبقُ على موقفه الراهن منه، وهو "الصعب"، لافتا نَظرَهُ إلى أنه أسيرٌ لديه؛ ربما ينحدر نحو الهلاك، في حين يتمنى للملك طول البقاء، حامدا الله على معافاته إياه، لكنه يغمزُ؛ بأن الخلاّق العزيز، يغفرُ حتى للظالمين ظُلمَهُم – إذا ما استغفروا وتابوا– إذن؛ الحقُّ والواجب؛ يفرضان على الملك أن يُسامحَهُ، ويصفحَ عن زلَّته، ويُطلق سراحه..

ولكن النعمان، قابل ذاك؛ بالإعراض والإهمال! فَيَحزُّ في قلب عديّ؛ طولُ انتظاره؛ مسجونا مكروبا: (من الرمل)

---

[١٠٣] ديوان عديّ بن زيد العباديّ، ص٦٠-٦٢.

[١٠٤] الصعب: النعمان بن المنذر؛ لصعوبته في مُلكه.

[١٠٥] العطب: الهلاك.

[١٠٦] ديوان عدي بن زيد العبادي، ص٥٢-٥٥.

أبلِــغِ النُّعمـــانَ، عنِّـــي، مألُكــا أَنَــهُ قَــد طــالَ حَبْــسي، وانْتِظــاري

قاعـــدا: يَكــرُبُ نفـــسي بَثُّهـــا وحراما، كانَ سِجني واحْتِــضاري[١٠٧]

أَجلَ نُعمى، ربَّـــــــــــــها أوَّلُكمْ ودُنُوِّي، كــانَ مِنكُمْ، واصْطِهاري[١٠٨]

فهذه ثَورةٌ مكظومة.. ماذا يفعل -وهو مُكبَّلٌ في غَيابــة الــسجن- ســوى الصراخ؛ بأن وضعه قد جاوز كلَّ ظلم؟ فسجنه حرام؛ لأنه من دون جُرم اقترفــه؛ حتى شارفه الموتُ، مع سابق الفضل والإحسان بينهما..

وغَنيٌّ عن البيان؛ ما تُمثِّله اعتذاريات الشعراء للملوك، فهي -غالبا- بمثابة سفارات القبائل إلى ملوكها، فضلا عن أثر هؤلاء الملوك في المجتمع الجاهلي؛ لأن رضاهم وموقفهم الإيجابي من رعيتهم؛ له وَقعُهُ العظيم في استقرار المجتمع. أمَّــا إنْ كان موقفهم سلبيًا؛ فسينعكس -بشكل أو بآخر- على أمن المجتمــع، وســلامه. وحتى إن كان الاعتذارُ شخصيا، فمعروف ما كان للشاعر من مَقام رفيع في قبيلته، بل في المجتمع عموما. إذ تبقى العَلاقةُ جدليةً؛ إن كانت طيبةً؛ ستزيد -بلا ريب- من استتباب الأمن، ودعم السلام في المجتمع كله، والعكسُ بالعكس.

فضلا عن الاعتذاريات للملوك، هناك اعتــذارياتُ الــشعراء للأفــراد، أو الجماعات؛ التي قد تكون داخليةً؛ في قبائلهم، أو خارجيةً؛ مع القبائل الأخرى. وقد يَعتذرُ الشاعرُ أَصالةً عن نفسه، أو نِيابةً عن غيره؛ فردا، أو جماعةً، أو عشيرةً، أو قبيلة. ولا يَخفى ما يترتبُ على هذه الاعتذاريات؛ مــن نتــائجَ خطيــرة، بِحــسَب موضوعها، والصِّلات التي تشملها.

وربما كانت على الصعيد الشخصي أو العاطفي، وقد تكون علــى صُــعُدٍ أخرى مختلفة.. فممّا جاء على الصعيد الأول، قَولُ عنترةَ بن شدّاد: (من الكامل)

---

(١٠٧) يكرب نفسي بثها: يشتد عليها حزنُها.

(١٠٨) أجلَ؛ منصوب على نزع الخافض، أصله: من أجلِ.

ديوان عدي بن زيد العبادي، ص٩٣-٩٤.

لا تَصرِميني -يا عُبَيلُ- وراجِعي فِيَّ البَصيرةَ؛ نظرةَ المُتأمِّلِ[١٠٩]

يُخاطبُ حبيبتَهُ؛ بذِكر اسمها الحبيب مُرخَّما؛ تَحبُّبا، مُنبِّها مشاعرَها، وهو يَحثُّ عقلَها؛ لِتفهَمَ موقفَهُ الإيجابي منها، في محافظته على وصلها؛ فيرجو أن تتبيَّنَ من أمره وتستبصر، ولا تعجل بقطيعته، ولْتَنظر في أمره؛ نَظرَ المُتلبِّث المسترشد ببصيرته، المتثبت مما يَسمع؛ قبل أي قرار، فهو في الوقت الذي يتمسَّك بها، لا يُريد أن يُملي عليها، بل يترك لها حُريَّةَ اتخاذ القرار، على ألاَّ تتعجَّلَ؛ إذ لا يريد خِداعها، ولكنه يريدها أن تأخذ موقفا إيجابيا منه -عن قناعة- وتلتزم به؛ متحملةً مسؤوليته، كما هو ملتزم؛ ليدومَ الودُّ والصفاء، وتَحلُوَ الحياةُ، وتهنأ..

وإذا عَدَدنا هذه الحالة، مثالا لآلاف الحالات المماثلة في المجتمع، يمكن تصور زخم العواطف السامية التي تغمر الجاهليين على سَعَةِ الأرض العربية.. وهكذا يَطيبُ تعايش المجتمع؛ ثمرةً يانعة من ثمار الحكمة.

وفي مجال العلائق العشائرية الداخلية، حَدَثَ؛ ما يُعكِّرُ صَفوَ العلاقة، بين الطفيل بن مالك (فارس قَرزَل)، وعشيرته بني جعفر؛[١١٠] فيتقدم إليهم بالاعتذار، محاولا استمالةَ قلوبهم وتنقيتها، مما عَلِقَ بها من جفاء؛ بالحكمة والحوار العقليّ الهادئ: (من الطويل)

لَئنْ سُؤتُكُمْ، ما سُؤتُكُمْ عَن عَداوةٍ ولا بِغضةٍ، واللهُ بالعبدِ أبصَرُ

فإنْ كُنتُ لمْ أُذنِبْ، فَبعضَ مَلامَتي بَني جَعفرٍ، أو كُنتُ أذنبتُ؛ فاغْفِروا[١١١]

إن كان يعترف -بفَرضهم- أنَّه أساء إليهم، فإنه يؤكد لهم؛ بأن هذه الإساءةَ؛ لم تكن عن سُوء نيّة، أو إضمار شيء ضدهم، ويُشهد اللهَ تعالى؛ البصير بعباده،

---

[١٠٩] ديوان عنترة، ص٢٥٤.

[١١٠] ذكر أبو تمام -في باب الأدب- أن البيتين لطُفَيل الخيل، ولكن الأستاذ الميمني تحقَّق من أنهما لطفيل الجعفريّ؛ إذ لم يُوجَدا في ديوان الغنويّ.

[١١١] الوحشيّات، ص١٧٠.

فإذا لم يتأكدوا، من أنه أذنبَ بحقهم؛ فلْيتركوا مَلامتَه، ويتجاوزوا عما حـدث، وإن حَسِبُوه مُذنبا؛ فلْيغفروا له هذا الذنب؛ لاستعادة العلاقة الطبيعية، التـي ينبغـي أن تسودَ دائما؛ حِفاظا على المحبة والسلام.

وفي الجانب الاجتماعيّ الأوسع؛ فيما بين القبائل، حدثَتْ مُنافرةٌ بين عَلقمةَ بن عُلاثة، وابن عَمِّه؛ عامرِ بن الطُّفَيل، فوقف بعضُ الشعراء إلى جانب أحـدهما، وبعضُهم إلى جانب الآخر. وكان الأعشى مع عامر؛ فقام بهجاء علقمة، ولكنه أحسَّ -بعد ذلك- أنه أخطأ؛ في تَدخُّلِه بين ابنَي العمّ، فجاء إلى ابن عُلاثة؛ معتذرا: (من المتقارب)

أعلقَمُ! قـد صَـيَّرتْني الأُمـورْ   إليكَ، وما كانَ لِيْ مَـنكَصُ[112]

فَهَبْ لِيْ ذُنوبي، فَدَتْكَ النُّفـوسْ   ولا زِلتَ تَنمِي، ولا تَـنقُصُ[113]

يُحادثُه بِحَميميَّةٍ؛ باستعمال همزة نداء القريب وترخيم اسمه، مُقرّا؛ بأنه كان قد اندفع نحو هجائه، لكن الظروف -حينها- هي التي حكَمتْ، وما كـان بإمكانـه التراجع، معترفا؛ أن ذلك الهجاء؛ قد حَمّلَه وِزرَ مجموعةِ ذُنـوب تجاهــه، طالبــا مُسامحتَهُ عنها؛ لِيرتاحَ ضميرُه، مُفدِّيا له نفسه ونُفوسَ الآخرين، وهو يعرف؛ أنــه الكريم الذي يَتسامى دائما، ولا تَحُدُّ من تساميه الصغائر.. فعفى علقمةُ عن الشاعر. وجرتْ المياه؛ رَقراقةً عذبة في مجاريها، بسلام.

ما الذي حَقَّقتْه اعتذارياتُ الشعراء للآخرين، وقبلها اعتـذارياتهم للملـوك، وفَوقهما حِكَمُهُم فيها وفي مُختلف الشؤون؟ كُلُّها تعملُ على رفع أبناء المجتمع فوق العَنعنات، وتُنقذ عَلائقهم من التَّذبذُب والضَّعف. في النتيجة تحاول تهذيب المجتمع، وتُرقِّيه؛ نحو العُلا الإنساني والتسامي النفسي؛ لِتصفوّ القلوبُ والأجواء. وبذلك يتأكَّدُ

---

[112] منكص؛ مصدر ميمي، من نَكَصَ عن الأمر: تراجع وأحجم.

[113] تنمي: تزيد.

ديوان الأعشى الكبير، ص٣٦٩.

- **لسان العرب،عشرون جزءا،** جمال الدين محمد بن مُكرم بن منظور الأنصاريّ، ت٧١١هـ، نسخة مصوَّرة عن طبعة بُولاق، معها تصويبات وفهارس متنوعة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر، د.ت.
- **مُختار الصِّحاح:** محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازيّ، ت٦٦٦هـ، الناشر دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١ ١٩٦٧.
- **المِصباح المُنير في غريب الشرح الكبير:** أحمد بن محمد بن علي المقَرِّيّ الفَيُّوميّ، ت٧٧٠هـ، صححه على النسخة المطبوعة بمط الأميريّة مصطفى السَّقَا، مط مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، القاهرة، د.ت.
- **مُعجم الشعراء:** أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المَرزُباني، ت٣٨٤هـ، تحقيق عبد الستار أحمد فرَّاج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.
- **المُنجد في اللغة والأدب والعلوم:** لويس معلوف اليسوعي، مط الكاثوليكيّة، بيروت، ط١٩ ،١٩٦٦.
- **المُهَلهِل بن رَبيعة التَّغلبيّ حياته وشعره:** نافع منجل شاهين الراجحيّ، رسالة ماجستير، آداب الجامعة المستنصريّة، ١٩٨٦.
- **نَهج البلاغة، اربعة أجزاء:**من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، اختيار الشريف الرَّضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى، ت٤٠٦هـ، شرح الشيخ محمد عبده، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، د.ت.
- **الوحشيّات وهو الحماسة الصُّغرى:** أبو تَمَّام حبيب بن أوس الطائيّ، ت٢٣١هـ علَّق عليه وحققه عبد العزيز المَيمنيّ الراجكوتيّ، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط٢ ، ١٩٧٠.

الأساس المتين للتفاهم والتلاؤم والانسجام والتلاحم، باتجاه الاستقرار والاطمئنان والأمان، والسلام الاجتماعي العام.

والجِوارُ؛ من الممارسات المبدئية، السارية في عموم المجتمع الجاهلي، وكانت له ميزاتُه ومَحاسنُه لخير الجميع. إذ كان يَعرِضُ لفرد أو أكثر؛ من أبناء القبائل العربية، ظرفٌ أو موقف، أو تَطرأ لأحدهم حال؛ تضطرُّهُ لِطلَبِ الحماية؛ فَيلجأ إلى الجوار، فيكون المُجير مُلزَما، أو -على وجه الدِّقة- مُلتزما بالحِفاظ على حياة المُجار، وعلى ماله وما يطلبه. ويتحمل المجير كلَّ التَّبعات التي تترتب على إجارته، تجاه المُجار والآخرين، فإذا ما قَصَّر أو تَهاونَ في شيء؛ يَخُصُّ مُجاوِرَهُ، يُعدُّ ذلك عيبا يُذَمُّ عليه. حَدَثَ مِثلُ ذلك لِزَيد الخَيل، فقال: (من الطويل)

فَلستُ بِهاجِيكُمْ، ولكنَّ جارَكُمْ فَقيرٌ إلى مَسعاتِكُمْ، أيُّمَا فَقرِ[١١٤]

إذ لا يريد أن يُسيء إلى مَن أحسن إليه، ولكنه يلتمس منهم؛ أن يَبذلوا ما بوسعهم من أجله، ليس لأن الأعراف تقضي بذلك حسب، ولكن لحاجته الماسَّة لمساعدتهم.. وهذا ما تقتضيه الحكمة؛ لِيخرجَ من أزمته؛ مُستأنِفا حياتَهُ الطبيعية الآمنة، ضِمنَ العلائق الاجتماعية الاعتيادية المتسالمة. كُلُّ ذلك -قد كان- بِفضل الحكمة؛ التي هي معرفةُ دَقائق الأمور، وإدراكُ جَواهر الحقائق. وقد كانت كذلك؛ رجالاتُ العرب وأعيانُهم، لاسيما مَن تَسَنَّمَ مواقعَ المسؤولية منهم، ومَسَك بزمام الأحداث، فضلا عن ساداتهم وشيوخهم وقادتهم. كل أولئك؛ كانوا مَعنيين بِتوجيه مسيرة المجتمع نحو بَرِّ الأمان، إن لم نَقُل إنهم مُلزَمون ببناء سفن نجاة؛ كيلا يَغرقَ أحدٌ في أي خلاف؛ لِيعيشَ الناسُ -عليها- مُتضامنين، مُتوادِّين، مُتحابين، كطيور الحُبِّ، أو حمائم السلام.وإذا أردنا تلخيصَ الموضوع؛ بخير بيان، لا نجد مِثلَ الذِّكر الحكيم، يُخبرنا؛ بأنه تعالى ذِكرُه: ﴿يُؤتي الحِكمةَ مَنْ يَشاءُ، وَمَن يُؤتَ الحِكمةَ فَقَدْ

---

[١١٤] ديوان زيد الخيل الطائي، ص٧١.

أُوتِيَ خَيرا كَثيرا﴾.[١١٥] إنَّ اللهَ سبحانه؛ هو الذي يَهَبُ العِلمَ النافع، أو تحقيقَ العلم، وإتقانَ العمل؛ لمن يشاء من عباده؛ وهذا هو الخير بعينه. فَطُوبَى لِمَن جَمعَ العلمَ والعمل -من ذَوي العقول الراجحة-[١١٦] لتأمين مصالح الناس، وصَلاحهم في أنفسهم، وفي مجتمعاتهم؛ الذي تُشعُّه الحكمة، فيَشيعَ -في ربوعهم- السلام.

وتَتَّضحُ - مما تقدّم- هذه المعادلةُ الطَّرديّة، بين الحكمة -بكلّ ما يُؤثَرُ عنها، ويصدر- من جهة، وبين تأمين مُتطلبات مسيرة المجتمع؛ المتكافل بتناغم العلائق الاجتماعية نفسها، من جهة أخرى. ثم ما ينتج من تأثيرات مُتبادَلة، بين الحضور الإيجابي للحكمة؛ التي يحتاجها الناسُ، ويَستحسنون إشعاعها الكاشف، ويَستسيغون فِعلها السليم، وبين استقرار المجتمع العتيد، وأمانه، وشيوع السلام في نهاية هذه المعادلة المتشابكة.

وأخيرا، فإنَّ حكمةَ العرب، وإن لم تكن -أحيانا- بدرجة ممتازة من العُمق والدِّقة -ذهنيا- تناسبا مع طبيعتهم الفكرية؛ لكنها كانت -على أية حال- مصدرَ النَّبع، المُنساب بِهدوء وأمان؛ في مَجرى المجتمع المُتصالح المتصافي؛ حتى يَفيضَ سلاما، فيعمَّ الحبُّ والوئام؛ لِيَشيع -مِن ثَمَّ- السلامُ؛ رَغَدا وسعادةً؛ زاهيين.

---

[١١٥] سورة البقرة، ٢٦٩/٢.

[١١٦] ينظر: تفسير القرآن الكريم، السيد عبد الله شُبَّر، ص٨١.

المصادر

- **القرآن الكريم.**
- **أساس البلاغة :** جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت٥٨٣هـ دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.
- **الأغاني، ٢٥ جزءا:** أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القُرَشيّ الأُمويّ الأصفهانيّ ت٣٥٦هـ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد الأمير علي مهنا والأستاذ سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ١٩٨٦.
- **أُميّة بن أبي الصّلت حياته وشعره:** تحقيق د.بهجة عبد الغفور الحديثي/ مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢ ١٩٩١.
- **البيان والتبيين، أربعة أجزاء:** أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت٢٥٥هـ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الهلال، بيروت، والمكتب العربي، الكويت، ط٣، ١٩٦٨.
- **تفسير القرآن الكريم:** السيد عبد الله بن محمد رضا شُبَّر، ت١٢٤٢هـ، راجعه د.حامد حفني داود، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط٣ ١٩٧٧.
- **الحماسة:** أبو عُبادة الوليد بن عُبيد البُحتريّ، ت٢٨٤هـ، نقله الأب لويس شيخو اليسوعي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢ ١٩٦٧.
- **الحماسة البصريّة : جزآن،** صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسن البصريّ، ت٦٥٩هـ ، تحقيق مختار الدين احمد، عالم الكتب، بيروت، ط٣ ١٩٨٣.
- **الحماسة الشّجريّة، قسمان:** ابن الشجريّ هبة الله بن علي بن حمزة العَلَويّ الحسنيّ، ت٥٤٢هـ، تحقيق عبد المُعين الملوحي وأسماء الحمصي، مط وزارة الثقافة والإرشاد السورية، ١٩٧٠.
- **ديوان أبي قيس صَيفيّ بن الأسلت الأوسيّ الجاهليّ:** دراسة وجمع وتحقيق د.حسن محمد باجودة، الناشر مكتبة دار التراث، مط السُّنّة المُحمديَّة، القاهرة، ١٩٧٣.
- **ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس:** شرح وتعليق د.محمد محمد حسين، الناشر مكتبة الآداب، الجماميز، مط النموذجيّة، الحلمية الجديدة، ١٩٥٠.
- **ديوان بِشر بن أبي خازم الأسديّ:** عُني بتحقيقه د.عزّة حسن، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مط محمد هاشم، دمشق، ط٢ ١٩٧٣.

- **ديوان حاتم الطائيّ:** تحقيق وشرح كَرَم البُستانيّ، دار المَسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٢.
- **ديوان زَيد الخَيل الطائيّ:** صنعة د.نوري حمودي القيسيّ، مط النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٨.
- **ديوان السَّمَوأل:** صنعة أبي عبد الله نِفطَوَيه، ت٣٢٣هـ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مط المعارف، بغداد، ١٩٥٥.
- **ديوان شعر عَمرو بن كُلثوم التَّغلبيّ:** فريتس كرنكو، مط الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٢.
- **ديوان طَرَفة بن العَبد:** شرح الأعلم الشَّنتَمَريّ، ت٤٧٦هـ، تحقيق دريّة الخطيب ولطفي الصقّال، مط دار الكتاب، دمشق، ١٩٧٥.
- **ديوان عامر بن الطُّفَيل:** رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس ثعلب، ت٢٩١هـ، كَرَم البُستانيّ، دار صادر-دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٣.
- **ديوان عَبيد بن الأبرص:** تحقيق وشرح د.حسين نصّار، شركة مكتبة ومط مصطفى البابيّ الحَلَبيّ وأولاده، مصر، ط١ ، ١٩٧٥.
- **ديوان عَديّ بن زَيد العِباديّ:** حققه وجمعه محمد جبار المُعَيبد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥.
- **ديوان عَلقَمة الفَحل:** شرح أبي الحَجّاج يوسف بن سُليمان الأعلم الشَّنتَمَري، ت٤٧٦هـ، حققه لطفي الصَّقّال ودريّة الخطيب، راجعه د.فخر الدين قَباوة، دار الكتاب العربيّ، مط الأصيل، حلب، ط١ ، ١٩٧٠.
- **ديوان عَمرو بن قَميئة:** عُني بتحقيقه وشرحه د.خليل إبراهيم العطيّة، مط الجمهورية، بغداد، ١٩٧٢.
- **ديوان عَنترة:** تحقيق ودراسة محمد سعيد مَولويّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٧٠.
- **ديوان المعاني: جزآن،** أبو هلال العسكريّ، ت٣٩٥هـ، عُنيت بنشره مكتبة القدسيّ، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- **ديوان النابغة الذُّبيانيّ:** جمع وتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التُونسيّة للتوزيع، ١٩٧٦.

- **السِّيرة النبويّة :أربعة مجلدات،** رواية عبد الملك بن هشام، ت٢١٨هـ، مع شرح أبي ذر الخشني، حققها وعلق عليها د.همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك مكتبة المنار، الأردن، ط١ ١٩٨٨.
- **شاعر فارس أُفنون التَّغلبيّ:** د.عادل جاسم البياتيّ، مجلة كليّة الآداب، جامعة بغداد، ع٢٠ ١٩٧٦.
- **شرح أشعار الهُذليين : ثلاثة أجزاء،** صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُكريّ، ت٢٧٥هـ، حققه عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مط المدنيّ، القاهرة، ١٩٦٥.
- **شعر أبي دُواد الإياديّ:** تحقيق غوستاف فون غرنباوم، ترجمة د.إحسان عباس وآخرين، في القسم الرابع من كتاب دراسات في الأدب العربيّ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩.
- **شعر الأَفوَه الأَوديّ:** ضمن كتاب الطرائف الأدبية، صححه وخرَّجه وعارضه عبد العزيز الميمَنيّ، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧.
- **شعر خِداش بن زُهير العامريّ:** صنعة د.يحيى الجبوريّ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دار الفكر للطباعة، دمشق، ١٩٨٦.
- **شعر قَيس بن زُهير:** ضمن كتاب الشعر في حرب داحس والغَبراء، د.عادل جاسم البياتيّ، مط الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٢.
- **شعر النَّمر بن تَولَب:** صنعة د.نوري حمودي القيسيّ، مط المعارف، بغداد، ١٩٦٩.
- **طبقات فُحول الشعراء: سفران،** محمد بن سلاّم الجُمَحيّ، ت٢٣١هـ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، المؤسسة السعوديّة، مصر، مط المدنيّ، ١٩٨٠.
- **العُمدة في مَحاسن الشعر وآدابه ونقده: جزآن:** أبو علي الحسن بن رَشيق القَيروانيّ الأسديّ، ت٤٥٦هـ، حققه وفصّله وعلّق حواشيه محمد مُحيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط٤ ١٩٧٢.
- **كتاب الاختيارَين:** صنعة الأخفش الأصغر، ت٣١٥هـ، تحقيق د.فخر الدين قَباوة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ ١٩٨٤.
- **لُباب الآداب:** أُسامة بن مُنقذ، ت٥٨٤هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مط الرحمانيّة، مصر، ١٩٣٥.

- **لسان العرب،عشرون جزءا**، جمال الدين محمد بن مُكرم بن منظور الأنصاريّ، ت٧١١هـ، نسخة مصوَّرة عن طبعة بُولاق، معها تصويبات وفهارس متنوعة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر، د.ت.
- **مُختار الصِّحاح:** محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازيّ، ت٦٦٦هـ، الناشر دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١ ١٩٦٧.
- **المِصباح المُنير في غريب الشرح الكبير:** أحمد بن محمد بن علي المَقَّريّ الفَيُّوميّ، ت٧٧٠هـ، صححه على النسخة المطبوعة بمط الأميريّة مصطفى السَّقّا، مط مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، القاهرة، د.ت.
- **مُعجم الشعراء:** أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المَرزُباني، ت٣٨٤هـ، تحقيق عبد الستار أحمد فرَّاج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠.
- **المُنجد في اللغة والأدب والعلوم:** لويس معلوف اليسوعي، مط الكاثوليكيّة، بيروت، ط١٩ ١٩٦٦.
- **المُهَلهِل بن رَبيعة التَّغلبيّ حياته وشعره:** نافع منجل شاهين الراجحيّ، رسالة ماجستير، آداب الجامعة المستنصريّة، ١٩٨٦.
- **نَهج البلاغة، اربعة أجزاء:**من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، اختيار الشريف الرَّضي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى، ت٤٠٦هـ، شرح الشيخ محمد عبده، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، د.ت.
- **الوحشيّات وهو الحماسة الصُّغرى:** أبو تَمَّام حبيب بن أوس الطائيّ، ت٢٣١هـ علَّق عليه وحققه عبد العزيز المَيمنيّ الراجكوتيّ، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط٢ ، ١٩٧٠.